المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، ومن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن طيب الحياة ومتعتها يتحققان في زوجية سعيدة، وسعادةُ الزوجية أن يكون الزوجان على دين صحيح، وعقل رجيح، وخلق سجيح.

وأن يجمعا إلى ذلك صفاء الود، والقيام بالحقوق، ونصح كل واحد لصاحبه.

وإذا قام كلٌّ من الزوجين بواجبه تماماً على الذي أحسن ـ حلت الأفراح والمسرات، وزالت أو قلت المشكلات، وكان لذلك أبلغ الأثر في صلاح الأسرة، وقوة الأمة.

ولا ريب أن الزوجة الصالحة هي التجارة الرابحة، وأنها من عاجل البشرى، ومن أمارات السعادة.

وإن مما يعين على صلاح الزوجات، وقيامهن بالحقوق المناطة بهن أن تلقى الأضواء على بعض ما يصدر منهن من أخطاء؛ فذلك أدعى لتشخيص الداء ومعرفة الدواء.

ولقد سبق في حلقة ماضية ذكر لأخطاء الأزواج، وفيما يلي من صفحات ذكر لما تيسر جمعه من أخطاء الزوجات؛ لأجل أن تتضح الصورة، ويكتمل الطرح.

ولا يعني ذكر تلك الأخطاء أنها تعم جميع الزوجات؛ ففيهن من خيرها كثير، وتقصيرها يسير.

كما لا يعني ذلك أن يتخذ الأزواج تلك الأخطاء ذريعة لتعداد معايب زوجاتهم؛ فيقودهم ذلك إلى الزهد بهن؛ أو الميل عنهن، أو تنزل تلك الأخطاء عليهن؛ فما ذلك أردت، ولا إليه قصدت.

وإنما هي دعوة للتحلي بالفضائل، والتخلي من الأخطاء والرذائل؛ فالرغبة في الكمال مطلوبة، والسعي في تحصيل الكمال كمال، ومن يتحر الخير يعطه، ومن يتوقَّ الشر يوقَه.

فإلى تلك الأخطاء، والله المستعان، وعليه التكلان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

محمد بن إبراهيم الحمد
١٤١٩/٢/٢٨هـ
الزلفي ١١٩٣٢
ص.ب ٤٦٠

من أخطاء الزوجات

١ـ المبالغة في تطلُّب الكمال:

فهناك من الزوجات من تغرق في الخيال، وتبالغ في تطلُّب الكمال؛ فتظن بأن الزواج جنة الفردوس التي لا صخب فيها، ولا عناء، ولا مشقة.

فهي تتصور أن الزواج لابد أن يكون هكذا دون صعوبات، أو عقبات، أو مشكلات.

فإذا هي ارتطمت بالواقع وما فيه من مسؤوليات، واتخاذ قرارات، وإنجاب أولاد، ومواجهة مشكلات ـ لم تستطع مواجهة ذلك، وظنت بأنها أخطأت في اختيار شريك الحياة، وربما جنحت للفراق تخلصاً من هذه القيود ـ بزعمها ـ.

وهذا الأمر قد يوجد، ومن أسبابه ضعف التربية، والإفراط في ترفيه الفتاة، والجهل بواقع الحياة الزوجية.

ومن أعظم أسبابه ما توحي به بعض القصص الخيالية، أو المسلسلات التلفازية، أو الأفلام السينمائية، حيث تصور الحياة الزوجية على أنها خالية من أي مشكلة[1].

فإذا دخلت الزوجة عشَّ الزوجية كذَّب الخُبْرُ الخَبَر، وفوجئت بما لم يخطر لها ببال.

فعلى الزوجة العاقلة أن تعتدل في نظرتها؛ فلا تسترسل مع الأحلام، ولا تهيم في أودية الخيال، ولا تبالغ في تطلب الكمال؛ فالحياة الزوجية ليست مشهداً يمثل ساعة من الزمان، ولا قصة يسافر كاتبها مع الخيال.

---

(١) وبعضها بالعكس من ذلك بحيث تصور الحياة الزوجية على أنها جحيم لا يطاق، بحيث توحي بالنفرة منها، وبهذا تُفقد النظرة الواقعية المعتدلة للحياة الزوجية.

وإنما هي واقع محسوس، فيه الآلام والآمال، وفيه الأفراح والأتراح، شأنه شأن الحياة كلها؛ فلا يجدي في ذلك إلا مواجهتها، وإحسان التعامل معها.

فيوم علينا ويومٌ لنا ويوم نُساء ويوم نسر

ولا يعني ذلك أن الحياة الزوجية قفص مظلم، أو جحيم لا يطاق.

وإنما هي تعاون، وتراحم، وتذمم.

وما يعتريها من المشكلات، والمنغصات _ لا تذهب ببهجتها، بل قد تكون مِلْحَها، وسرَّ سعادتها.

فَتَحَمُّل المسؤولية، والتضلع بالأعباء والتبعات من أعظم أسباب السعادة؛ فأروح الناس أتعب الناس، وأتعب الناس أروح الناس.

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها تنال إلا على جسر من التعب

بل إن كثرة الفراغ والبطالة من أعظم ما يقعد بالهمة، ويورث الغم والقلق.

٢_ قلة مراعاة الزوجة لوالدي الزوج:

لا ريب أن للزوجة على الزوج حق إكرامها، ومن إكرامها إسكانها في مسكن منفرد.

يقول الكاساني ﷫: «لو أراد الزوج أن يسكنها مع ضرتها أو مع حماتها كأم الزوج أو أخته وبنته من غيرها وأقاربها فأبت _ عليه أن يسكنها في مسكن منفرد؛ لأنهن ربما يؤذينها ويضررنها في المساكنة، وإباؤها دليل الضرر»[١].

ولكن قد تقتضي الحال بأن يسكن الزوج مع والديه، أو أن يحتاج والداه إلى السكنى معه في منزله.

(١) بدائع الصنائع للكاساني ٢/٢٣.

والزوج مطالب ببر والديه، والإحسان إلى زوجته.

ولكن بعض الزوجات لا تعين زوجها على ذلك، فتريد أن تستأثر به، فلا يكون لأحد سواها نصيب منه.

بل ربما تعدى الأمر ذلك، فقامت بإيذاء والديّ زوجها، والإيذاء يأخذ صوراً كثيرة؛ فمن ذلك رفع الصوت عليهما، والتأفف من أوامرهما، وقلةُ التودد لهما، وقلة المراعاة لمشاعرهما.

ومن ذلك إذلالهما واحتقارهما، وكثرة ذمهما، وتمني الخلاص من العيش معهما، وإغراء الزوج بعقوقهما.

ومن ذلك تصيُّدُ الزلات عليهما، وتضحيم الأخطاء، بل والافتراء والكذب عليهما.

ومن ذلك الغيرة من الأم، ومعاملتها على أنها منافسة لها، وشريكة معها في زوجها، إلى غير ذلك من أنواع الأذية.

وإذا أرجعنا البصر في أسباب ذلك وجدناها ناتجة عن قلة التقوى، وسوء التربية، وضعف العقل.

كذلك تنتج هذه المعاملة عن ضيق العطن، وصغر النفس؛ فالنفوس تختلف سعة وضيقاً، كما تختلف الحجر والمنازل والأماكن؛ فمن الناس من تضيق نفسه حتى تكون كَسَمّ الخِيَاط، ومنهم من تتسع نفسه حتى تشمل العالم وما فيه.

فما ثمرة تلك المعاملة من الزوجة؟ إنها تَنَغّصُ عيشتها وعيشة من تعاشره؛ فلا الزوجة تسعد، ولا زوجها ولا والداه.

ولهذا كان لزاماً على الزوجة العاقلة ذات الدين القويم، والخلق الكريم، التي تريد سعادتها، وسعادة زوجها _ أن تؤثر زوجها على نفسها، وأن تكرم قرابته، وأن

تزيد في إكرام والديه، وخصوصاً أمه؛ فذلك كله إكرام للزوج، وإحسان إليه، كما أن في ذلك إيناساً له، وتقوية لرابطة الزوجية، وآصرة الرحمة.

وإذا كان الزوج أعظمَ حقاً على المرأة من والديها، وإذا كان مأموراً شرعاً بحفظ قرابته وأهل ودّ أبيه؛ تقوية للرابطة الاجتماعية في الأمة _ فإن الزوجة مأمورة شرعاً بأن تحفظ أهل ودّ زوجها من باب أولى؛ لتقوية الرابطة الزوجية.

ثم إن إكرام الزوجة لوالدي زوجها _ وهما في سن والديها _ خلق إسلامي أصيل، يدل على نبل النفس، وكرم المَحْتِد.

ولو لم يأتها من ذلك إلا رضا زوجها، وكسب محبة أقاربه، والسلامة من الشقاق والمنازعات، زيادة على ما سينالها من دعوات مباركات.

كما أن على الزوجة الفاضلة ألا تنسى منذ البداية أن هذه المرأة التي تشعر أنها منافسة لها في زوجها _ هي أم ذلك الزوج، وأنه لا يستطيع مهما تَبَلَّد فيه الإحساس أن يقبل أي إهانة توجه إليها؛ فإنها أمه التي حملته في بطنها تسعة أشهر، وأمَدَّته بالغذاء من لبنها، وأشرقت عليه بعطفها وحنانها، ووقفت على الاهتمام به حياتها حتى صار رجلاً سوياً.

كما أن هذه المرأة أم لأولادك أيتها الزوجة؛ فهي جدَّتهم، فارتباطهم بها وثيق؛ فلا يحسن بك أيتها الزوجة أن تعامليها كضرة؛ لأنها قد تعاملك كضرة، ولكن عامليها كأم، تعاملْك كابنة، وقد يصدر من الأم بعض الجفاء، وما على الابنة إلا التحمل والصبر؛ ابتغاء المثوبة والأجر.

فإذا شاع في المنزل والأسرة أدب الإسلام، وعرف كل فرد ماله وما عليه _ سارت الأسرة سيرة رضية، وعاشت عيشة هنية في أغلب الأحيان.

واعلمي أيتها الزوجة أن زوجك يحب أهله أكثر من أهلك، ولا تلوميه في ذلك؛

فأنت تحبين أهلك أكثر من أهله؛ فاحذري أن تطعنيه بازدراء أهله أو انتقاصهم، أو أذيته فيهم؛ فإن ذلك يدعوه إلى النفرة منك، والميل عنك.

إن تفريط الزوجة في احترام أهل زوجها تفريط في احترام الزوج نفسه، وإذا لم يقابل ذلك بادي الأمر بشيء فلن يسلم حبه للزوجة من الخدش والتكدير.

ثم إن الرجل الذي يحب أهله، ويبر والديه إنسان فاضل كريم صالح جدير بأن تحترمه زوجته، وتجله، وتؤمل فيه الخير؛ لأن الرجل الذي لا خير فيه لوالديه لا يكون فيه ـ غالباً ـ خير لزوجة، أو ولد، أو أحد من الناس.

إضافة إلى ذلك فالزوج مرتبط بأهله، فلا بد له منهم، ولا فكاك له عنهم، والعرب تقول: أنفُك منك وإن ذنَّ[١]، وعِيْصُك منك وإن كان أشباً[٢].

وإذا كنت أيتها الزوجة راضية في عقوق الزوج لوالديه، وفي معاملتك السيئة لهما ـ فهل ترضين أن تُعَامَلَ أمُّكِ بمثل هذه المعاملة من قِبَل زوجات إخوانك؟

بل هل ترضين أن تعاملي أنت بذلك من أزواج أولادك إذا وهن منك العظم، واشتعل الرأس شيباً؟[٣].

لا إخالك ترضين بذلك؛ فالجزاء ـ إذاً ـ من جنس العمل.

ولا تجزعن من سيرة أنت سرتها ... فأول راضٍ سيرةً من يسيرها[٤]

---

(١) ذن: سال مخاطه.

(٢) عيصك: العيص الجماعة من السدر يجتمع في مكان واحد، والأشب: شدة التفاف الشجر. انظر عيون الأخبار لابن قتيبة ٣/٨٩.

(٣) انظر نظرات في الأسرة المسلمة د. محمد بن لطفي الصباغ ص٨٧ـ٨٨، والمرأة المسلمة وهبي غاوجي ص١٥٣، وفيض الخاطر لأحمد أمين ٥/٢١ـ٢٢.

(٤) البيت لخالد بن زهير، انظر الأغاني لأبي الفرج ٦/٢٩١ ولسان العرب لابن منظور ١٣/٢٢٥.

وأخيراً فإن موقف الزوجة الصالحة في إعانة زوجها على البر ـ كفيل في كثير من الأحيان في حلّ المشكلات، وتسوية الأزمات، وجمع الشمل، ورأب الصدع؛ لأن الوالدين عندما يشهدان الحبَّ الصادق، والحنان الفياض من زوجة ابنهما ـ فإنهما يحفظان ذلك.

هذا وقد أرانا العيان أن كثيراً من الوالدين يحبون زوجات بنيهم كحبهم لبناتهم أو أشد حباً.

وما ذلك إلا بتوفيق الله، ثم بحكمة أولئك الزوجات، وحرصهن على حسن المعاملة لوالدي الأزواج.

ومما يعين الزوجة على التسلل إلى قلوب والدي الزوج ـ زيادة على ما مضى ـ أن تصبر الزوجة على الجفاء، وأن تستحضر الأجر، وأن تنظر في العواقب.

ومن ذلك أن تبادرهما بالهدية، وأن تحرص على حسن المحادثة، وحسن الاستماع والإنصات لحديثهما، وأن تتلطف بالكلام، وإلقاء السلام، وحسن التعاهد.

ومن ذلك أن توصي زوجها بمراعاة والديه، وبألا يشعرهما بأن قلبه قد مال عنهما كل الميل إلى زوجته.

ومن ذلك أن ترفع الزوجةُ أكفَّ الضراعة إلى الله كي يعطّف قلوب الوالدين إليها، وأن يعينها على حسن التعامل معهما.

فيا أيتها الزوجة الكريمة استحضري هذه المعاني، ولك ثناء جميل وذكر حسن في العاجل، وأجر جزيل وعطاء غير مجذوذ في الآجل.

٣ـ تبذل الزوجة، وقلة تجملها لزوجها:

فالزوج يحتاج إلى الكلمة الطيبة، واللمسة الحانية، والعاطفة الرقيقة، ويسر بما

يروق عينه، ويبهج نفسه، ويفرح قلبه.

وكثير من الزوجات لا تُعنى بمظهرها أمام زوجها؛ فلا تلبس اللبس الجميل، ولا تتعاهد بدنها بالنظافة، ولا تتطيب لزوجها، ولا تراعي ما يروقه من الروائح الطيبة.

وإذا أقبلت عليه أقبلت بملابس رثة، ورأس ثائر أشعث، وروائح تنبعث منها آثار الطبخ.

وإذا تكلمت تكلمت بصوتٍ أجشَّ كجرس الرحى، أما الابتسامة فلا يكاد ثَغْرُها يَفتَرُّ عنها.

ثم إذا هي أرادت الخروج لزيارة أقاربها أو صويحباتها تبدَّلت حالها السابقة رأساً على عقب؛ فلا تخرج إليهم إلا بأبهى حلة، وأطيب ريح؛ حتى إنه ليخيل إلى من رآها أنها في ليلة عرسها؛ فهذه حلى مطرزة، وتلك حواجب مُزَجَّجَـة، وهذه عيون مكحولة؛ فلا يكون نصيب الزوج من ذلك إلا رؤيتها إذا أرادت الخروج للزيارة.

إن هذا الصنيع لَمِنْ أشنع الخصال، وإن امرأة تقوم به لجديرة بأن تعيش حياة نكدة، وأن تجلب على نفسها وعلى زوجها البلاء والشقاء إذا ما صبر عليها، وأبقاها زوجة له.

والغالب أن مثلها لا تبقى مع الزوج إلا إذا كان مضطراً إليها اضطراراً يلجئه إلى الإبقاء عليها.

وإذا كانت مع ذلك ثرثارة، سليطة اللسان، سبابة لزوجها فقد جمعت عليه ظلمات بعضها فوق بعض.

فهل يصدر هذا الفعل من عاقلة رشيدة تخاف ربها، وتسعى لسعادة زوجها وأسرتها؟ لا؛ إن العاقلة الرشيدة ذات الدين والخلق لتسعى إلى مرضاة زوجها ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً؛ فلا تخرج بكامل زينتها إلا إليه، ولا تعنى بنفسها عناية

تامة إلا له.

فإذا كان حاضراً أخذت زينتها فلبست حليها، وأحسن ثيابها، وتطيبت وتبخرت، وادَّهنت، وتعاهدت شعرها، ونظافة بدنها(١).

ثم لا يراها بعد ذلك إلا باسمة متهللة، ولا يسمعها إلا حامدة شاكرة.

قال الفرزدق يصف نساءً:

يأنسن عند بعولهن إذا خلوا وإذا هُمُ خرجوا فهن خفار(٢)

٤_كثرة التسخط وقلة الحمد:

فمن الزوجات من هي كثيرة التسخط، قليلة الحمد والشكر، فاقدة لخلق القناعة، غير راضية بما آتاها الله من خير.

فإذا سُئلت عن حالها مع زوجها أبدت السخط، وأظهرت الأسى واللوعة، وبدأت بعقد المقارنات بين حالها وحال غيرها من الزوجات اللائي يحسن إليهن أزواجهن.

وإذا قدم لها زوجها مالاً سارعت إلى إظهار السخط، وندب الحظ؛ لأنها تراه قليلاً مقارنة بما يقدم لنظيراتها.

وإذا جاءها بهدية احتقرت الهدية، وقابلتها بالكآبة، فتدخل على نفسها وعلى زوجها الهم والغم بدل الفرح والسرور؛ بحجة أن فلانة من الناس يأتيها زوجها بهدايا أنفس مما جاء به زوجها.

وإذا أتى بمتاع أو أثاث يتمنى كثير من الناس أن يكون لهم مثله _ قابلته بفظاظة

---

(١) انظر إصلاح المجتمع للبيحاني ص٣٠٨، واللقاء بين الزوجين لعبدالقادر عطا ص٥٢ و ٥٧.

(٢) عيون الأخبار ٤/٤.

وشراسة منكرة، وبدأت تظهر ما فيه من العيوب.

وبعضهن يحسن إليها الزوج غاية الإحسان، فإذا حصلت منه زلة، أو هفوة، أو غضبت عليه غضبة ـ نسيت كل ما قدم لها من إحسان، وتنكرت لما سلف له من جميل.

وهكذا تعيش في نكد وضيق، ولو رزقت حظًّا من القناعة لأشرقت عليها شموس السعادة.

ومثل هذه المرأة يوشك أن تسلب منها النعم، فتقرع بعد ذلك سن الندم، وتعض أناملها، وتقلب كفيها على ما ذهب من نعمها.

إن السعادة الحقة إنما هي بالرضا والقناعة، وإن كثرة الأموال والتمتع بالأمور المحسوسة الظاهرة ـ لا يدل على السعادة؛ فماذا ينفع الزوجة أن تتلقى من زوجها الحلي والنفائس والأموال الطائلة إذا هي لم تجد المحبة، والحنان، والرحمة، والمعاملة الحسنة؟.

وماذا ستجني من جراء تسخطها إلا إسخاط ربها، وخراب بيتها، وتكدير عيشة زوجها؟[1].

فواجب على المرأة العاقلة أن تتجنب التسخط، وجدير بها أن تكون كثيرة الشكر؛ فإذا سُئلت عن بيتها وزوجها وحالها أثنت على ربها، وتذكرت نعمه، ورضيت قسمته؛ فالقناعة كنز الغنى، والشكر قيد النعم الموجودة، وصيد النعم المفقودة؛ فإذا لزم الإنسان الشكر درت نعمه وقَرَّت؛ فمتى لم ترَ حالك في مزيد فاستقبل الشكر.

كيف وقد قال ربنا ـ عز وجل ـ: ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ**

---

(١) انظر إصلاح المجتمع ص٣٠٨، ونظرات في الأسرة المسلمة ص١١١.

كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (إبراهيم : ٢٧).

بل يحسن بالزوجة أن تشكر ربها إذا نزل بها ما تكرهه؛ شكراً لله على ما قدره، وكظماً للغيظ، وستراً للشكوى، ورعاية للأدب[١].

ثم إن الشكوى للناس لا تجدي نفعاً، ولا تطفىء لوعة ـ في الغالب ـ.

ولهذا رأى بعض السلف رجلاً يشكو إلى رجل فاقته وضرورته فقال:

«يا هذا، والله ما زدت على أن شكوت من يرحمك إلى من لا يرحمك»[٢].

وإذا عرتك بلية فاصبر لها صبر الكريم فإنه بك أعلم

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم[٣]

وإن كان هناك من حاجة لبث الشكوى لمن يعنيهم الأمر؛ طلباً للنصيحة، أو نحو ذلك ـ فلا بأس، وإلا فلماذا نثير انتباه الذين لا يعنيهم أمرنا، ولا ننتظر منهم أي فائدة لنا، فنفضح أنفسنا، ونهتك أستارنا، ونُبين عن ضعفنا وخورنا في سبيل الحصول على شفقة أو عطف ليس له من نتيجة سوى ازدياد الحسرة وتفاقم المصيبة[٤].

ثم إن من حق الزوج على زوجته أن تعترف له بنعمته، وأن تشكر له ما يأتي به من طعام، ولباس، وهدية ونحو ذلك مما هو في حدود قدرته، وأن تدعو له بالعوض والإخلاف، وأن تظهر الفرح بما يأتي به؛ فإن ذلك يفرحه، ويبعثه إلى المزيد من الإحسان.

---

(١) انظر مدارج السالكين لابن القيم ٢/١٩٩ و ٢٤٣.

(٢) الفوائد لابن القيم ص١٣١.

(٣) مدارج السالكين ٢/١٦٠.

(٤) انظر طريق النجاح د. بول جاغو، تلخيص بهيج شعبان ص٨٧.

كما يحسن بالزوجة أن تستحضر أن الزوج سبب الولد، والولدُ من أجل النعم، ولو لم يكن من فضل الزوج إلا هذه النعمة لكفاه؛ «فمهما تكن الزوجة شقية بزوجها فإن زوجها قد أولدها سعادتها، وهذه وحدها مزية ونعمة»[١].

أما كفر النعمة، وجحود الفضل، ونسيان أفضال الزوج _ فليس من صفات الزوجة العاقلة المؤمنة؛ فهي بعيدة عن ما لا يرضي الله _ عز وجل _ فجحودُ فضل الزوج سماه الشارع كفراً، ورتب عليه الوعيد الشديد، وجعله سبباً لدخول النار.

قال _ عليه الصلاة والسلام _: «**رأيت النار ورأيت أكثر أهلها النساء**».

قالوا: لم يا رسول الله؟

قال: «**يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان؛ لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط**»[٢].

وعن عبدالله بن عمر _ رضي الله عنهما _ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه**»[٣].

وعن أسماء ابنة يزيد الأنصارية قالت: «مرَّ بيَ النبي ﷺ وأنا وجوارٍ أتراب لي فسلم علينا، وقال: «**إياكنَّ وكفرَ المُنْعمِين**»، وكنت من أجرئهن على مسألته، فقلت: يا رسول الله: وما كفرُ المنعمين؟.

قال: «**لعل إحداكنَّ تطول أيْمَتُها من أبويها، ثم يرزقها الله زوجاً، ويرزقها ولداً،**

---

(١) وحي القلم للرافعي ٢٩٢/١.

(٢) رواه البخاري (٢٩)، ومسلم(٩٠٧).

(٣) رواه النسائي في الكبرى (٩١٣٥_٩١٣٦)، والبهقي ٢٩٤/٧، والحاكم ٧٨/٣، وقال: صحيح الإسناد، وقال الهيثمي ٣٠٩/٢: رواه البزار بإسنادين والطبراني، وأحد إسنادي البزار رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٩).

فتغضب الغضبة، فتكفر، فتقول: ما رأيت منك خيراً قط»[(١)].

٥ـ المنة على الزوج:

فمن الزوجات من تخدم زوجها، وتقوم على رعايته، ورعاية والديه.

ولكنها أنَّانة مَنَّانة، فلا تكاد تمضي مدة إلا وتُذكِّر زوجها بأفضالها، وأياديها السالفة عليه؛ فتؤذيه بالمن، والأذى، والإدلال.

والمنة خلق ساقط يجدر بالزوجة أن تتجافى عنه، ولئن كانت المنة قبيحة من كل أحد فلهي أقبح وأقبح إذا صدرت من الزوجة تجاه زوجها؛ فالمنة تهدم الصنيعة، وتصدع قناة العزة.

ولقد نهى الله ـ عز وجل ـ عن المنة بقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى**﴾ (البقرة: ٢٦٤).

وعن أبي ذرﷺ عن النبيﷺ قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم**».

قال: فقرأها رسول اللهﷺ ثلاث مرات، قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟

قال: «**المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**»[(٢)].

ويروى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: «لا يتم المعروف إلا بثلاث: بتعجيله، وتصغيره، وستره؛ فإذا عجَّله هنَّأه، وإذا صغَّره عظَّمه، وإذا ستره

(١) رواه أحمد ٦/٤٥٧، والبخاري في الأدب المفرد (١٤٨)، والترمذي (٢٦٩٧) وحسنه، والطبراني في الكبير ٢٤/١٧٧، والحميدي في مسنده ١/١٧٩، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٨٠٠).

(٢) رواه مسلم(١٠٦).

تمّمه»[١].

وقال رجل لبنيه: «إذا اتخذتم عند رجل يداً فانسوها»[٢].

وقال الشاعر:

أفسدتَ بالمنِّ ما أسديتَ من حسن ليس الكريم إذا أسدى بمنان[٣]

وقال الشافعي رحمه الله:

منُّ الرجال على القلوب أشد من وقع الأسنة[٤]

وقال البارودي رحمه الله:

تحمَّلتُ خوف المنّ كل رزيئة وحمل رزايا الدهر أحلى من المن[٥]

ومع أن المنة وتعداد الأيادي ليس من صفات الكرام إلا أنه يسوغ في حال المعاتبة والاعتذار.

قال ابن حزم رحمه الله: «حالان يحسن فيهما ما يقبح في غيرهما، وهما المعاتبة والاعتذار؛ فإنه يحسن فيهما تعديد الأيادي، وذكر الإحسان، وذلك غاية القبح في ما عدا هاتين الحالتين»[٦].

وعلى هذا يسوغ للزوجة إذا احتاجت إلى عتاب زوجها أو الاعتذار إليه أن تذكره بشيء من أياديها، لا على سبيل المنة والإدلال، وإنما لتذكره بما له عندها من المنزلة،

---

(١) عيون الأخبار ١٧٧/٤.

(٢) عيون الأخبار ١٧٧/٤.

(٣) عيون الأخبار ١٧٧/٤.

(٤) ديوان الشافعي تحقيق د.محمد عبدالمنعم خفاجي ص١٣٥.

(٥) ديوان البارودي ص٥٤٩.

(٦) الأخلاق والسير لابن حزم ص٧٨.

والتقدير.

٦ـ إخبار الآخرين بمشكلات المنزل:

فمن النساء من هي قليلة الصبر؛ فإذا حصل أدنى خلاف أو مشكلة مع زوجها بادرت إلى إخبار والديها، وإخوانها وأخواتها، وربما صديقاتها، مع أن الخلاف لا يستحق أكثر من أن يطوى ولا يُروى.

فهذا الصنيع من قلة الوفاء، ومن العجلة المذمومة، كما أنه دليل الجهل والحمق؛ إذ قد يكون سبباً لتقويض صرح الزوجية؛ فليس من شرط البيت السعيد أن يخلو من المشكلات تماماً، وإنما الشأن كل الشأن في احتواء المشكلات، والسيطرة عليها.

ولهذا كان حرياً بالزوجة أن تحرص كل الحرص على أن لا يدخل بينها وبين زوجها أحد مهما كان ذلك الإنسان؛ لأنه إن كان مُحِبًّاً تَنَغَّصَ وضاق صدره، وإن كان شانئاً أو حاسداً فرح بالمصيبة، وربما أظهر الشماتة، وربما أشار برأي مُعْوَجٍّ فَطِيْرٍ، فكان سبباً للفراق، وهدم الأسرة.

ولهذا فإن الزوجة العاقلة تكتم ما يكون بينها وبين زوجها حتى عن والديها فضلاً عن غيرهم إلا حين يتفاقم الخلاف، ويتعسر الحل، فتبحث عن رأي مناسب للحل، أو حين يصبح التحكيم بين الزوجين وسيلة من وسائل العلاج المحتوم[١].

٧ـ قلة المراعاة لمكانة الزوج ووضعه الاجتماعي:

فقد يكون الزوج ذا مكانة علمية أو اجتماعية؛ فيحتاج الناس إليه، فيقوم باستقبالهم، والسعي في حل مشكلاتهم، فتضيق الزوجة ذرعاً بكثرة ارتباطاته.

وقد يكون الزوج مُكِبًّاً على القراءة، والكتابة؛ لإعداد دروسه، أو مقالاته، أو

---

(١) انظر نظرات في الأسرة المسلمة ص٧٣.

بحوثه؛ فيصعب ذلك على الزوجة، وتتبرم منه ومن كتبه، ويأكل بعضها بعضاً حين تراه داخلاً وفي يده كتاب.

وقد يقوم الزوج بالرد على الناس عبر الهاتف؛ للإجابة عن أسئلتهم، أو الإشارة عليهم بما يراه مناسباً، أو نحو ذلك مما تقتضيه منزلته؛ فيشق ذلك على الزوجة.

ولئن كان من حق الزوجة أن يخصص لها الزوج وقتاً ليؤنسها ويأنس بها _ فليس من حقها أن تنكر عليه قيامه بواجبه الاجتماعي أو العلمي، أو أن تُظهر السخط، وتصب جام الغضب عليه إذا قام بعمل يرتاح إليه، وتطمئن به نفسه، ويدعو إليه الواجب المتحتم في حقه لأمته.

فهذا الوصف وصف من لا خلاق لها؛ ذلك أن المرأة الصالحة هي العؤود على زوجها بالنفع.

فمن حق الزوج _إذاً_ أن تَدَعَ له زوجته وقتاً يفرغ فيه لنفسه، ولفكره، ولأمته، وأن تحتسب بُعْدَهُ عنها، وتقصيره في بعض حقها؛ فإن كان عالماً أو طالب علم تركت له وقتاً يقرأ فيه، أو يكتب، أو يؤلف.

وإن كان ذا مكانة تحتم عليه أن يقابل الناس، ويسعى في بذل رأيه، وجاهه، ووقته لهم _ أعانته على ذلك، وتغاضت عن بعض حقوقها.

وإن كان عابداً مقبلاً على ربه تركت له وقتاً يؤدي فيه العبادة بخشوع وحضور قلب.

إن اللذة التي يجدها العابد في خلوته، والعالم في قراءته، والمتأمل في هدأته، والكريم في بذله وخدمته للناس _ لا تَعْدِلُها في الحياة لذة، وقد لا تشعر الزوجة بهذه اللذة؛ فلا تفهم لها معنى، بل قد تؤول ذلك على معنى الكره لها، أو البعد عنها، وهي في ذلك متجنية عليه وعلى نفسها.

فإن أَبَتْ إلا أن تُكَدِّر عليه صفوه، وهدوءه، ولذته الروحية _ فقد تسببت في كراهيته جوَّ المنزل، وألجأته إلى أن يفر إلى مكان يسلم فيه من مضايقتها وإزعاجها.

وقد تمتد النفرة من البيت إلى النفرة من الزوجة، فلا يكاد يطيق رؤيتها.

ومن ثَمَّ تكون الكارثة على الزوجة وزوجها والبيت أجمعه[1].

ولا يعني ذلك أن يتمادى الزوج في التقصير في حق الزوجة، بل عليه أن يقوم بحقها، وأن يعتذر لها إذا قصر، وأن يذكرها بالأجر المترتب على صبرها[2].

٨_ قلة إعانة الزوج على البر والتقوى:

وهذه الفقرة قريب شأنها من الفقرة الماضية، وإكمال لها؛ فمن الزوجات من تكون فتنة لزوجها؛ حيث تصده عن طلب العلم، وتعوقه عن السعي للمعالي؛ فإذا همَّ بنفقة خذَّلته، وإذا أراد الذهاب إلى دعوة وقفت في سبيله؛ فلا هم لها من زوجها إلا إشباع رغباتها، وتلبية طلباتها، ولو كان ذلك على حساب تضييع شيء من واجبات الزوج.

وصدق الله إذ يقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ** ﴾ (التغابن: ١٤).

والشكوى من تخذيل الزوجات قديمة؛ فكثيراً ما تَثْني الزوجةُ ذا الهمة عن مراده، وكم عانى الكرام والشجعان من ذلك؛ فهذا أحدهم يقول مبيناً عاقبته عندما أطاع زوجته في الشهوات:

---

(١) انظر أخلاقنا الاجتماعية د. مصطفى السباعي ص١٤٥.

(٢) انظر إلى كتاب: من أخطاء الأزواج للكاتب ص٤٥_٤٩ ففيه حديث حول تقصير الزوج على زوجته من هذه الناحية وعلاج ذلك.

أطعت العرس[١] في الشهوات حتى أعادتني عسيفاً عَبْد عبدِ
إذا ما جئتها قد بعت عذقاً تعانق أو تُقبّل أو تُفَدّي[٢]

ولهذا لا ينبغي للمرأة المسلمة أن تكون عقبة في طريق زوجها، فتصده عن القيام بطاعة ربه، والدعوة إلى سبيل الله، والمسارعة في الخيرات، والتنافس في أبواب المكرمات.

بل عليها أن تعينه على ذلك؛ استجابة لأمر الله ـ عز وجل ـ : ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ (المائدة: ٢٢).

فتتحمل عنه مسؤولية المنزل، وتُعْنَى بتربية أولادها، وتضحي بشيء من راحتها؛ فذلك دليل نبلها، وقوة دينها، وكرم أخلاقها.

بل إن نجاح الزوج ـ في الحقيقة ـ نجاح للزوجة نفسها؛ ولهذا يقال: وراء كل عظيم امرأة، ورحم اللهُ الرافعيَّ إذ يقول: «ومهما تبلغ المرأة من العلم فالرجل أعظم منها بأنه رجل، ولكن المرأة حق المرأة هي تلك التي خلقت لتكون للرجل مادة الفضيلة والصبر والإيمان؛ فتكون له وحياً، وإلهاماً، وعزاءً، وقوة، أي زيادة في سروره، ونقصاً من آلامه.

ولن تكون المرأة في الحياة أعظم من الرجل إلا بشيء واحد هو صفاتها التي تجعل رَجُلَها أعظم منها»[٣].

ويقول: «فأكبر الشأن هو للمرأة التي تجعل الإنسان كبيراً في إنسانيته، لا التي تجعله

---

(١) العرس: الزوجة.

(٢) عيون الأخبار ٢٤٣/١.

(٣) وحي القلم ١٥١/٢.

كبيراً في حيوانيته؛ فلو كانت هذه الثانية التي يصطلح الناس على وصفها بالجمال ـ فهي القبيحة لا الجميلة؛ إذ يجب على المؤمن الصحيح الإيمان أن يعيش فيما يَصْلُح به الناس، لا فيما يصطلح عليه الناس»[١].

فيا أيتها الزوجة العاقلة تذكري ما آل إليه المسلمون من تفرقهم، وتشتت كلمتهم، وانصباب الفتن والمصائب عليهم، وتذكري شيوع الجهل والفقر في صفوفهم، وركون أكثرهم إلى دنياهم وأهوائهم غير مبالين بسوء العاقبة التي تنتج عن هذه الحال المتردية.

فهل تستشعرين مسؤوليتك؟ وهل تستحضرين عظم الأمانة الملقاة على عاتقك؟

وهل يكون موقفك في مثل هذا الحال تثبيت الزوج، وحثَّه على طاعة ربه، والقيام بأنواع القربات، والتضلع بأعباء الدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ؟

أم يكون موقفك تثبيطه، وإخلاده إلى الأرض من أجل أن يرضي شهواتك، ويلبي رغباتك؟

إن اخترت الأولى فطوبى لك، وإن كانت الثانية فما أخسر صفقتك، وأسوأ عاقبتك.

ولكن ذات الدين تأبى الخسارة حين توضع الموازين بين يدي رب العالمين؛ فلا ترضى لنفسها ولا لزوجها بالدون؛ فلا ترضى إلا بالثبات على الدين، والتواصي مع الزوج على ذلك؛ فلها أسوة وسلف صالح في ذلك.

فهذه أمنا هاجر أم إسماعيل ـ عليه السلام ـ لما تركها أبونا إبراهيم ووليدها في أرض قفراء لا طعام فيها ولا ماء، ولا أنيس ولا سمير، وانطلق مجيباً أمرَ ربِّه ـ اتبعته

---

(١) وحي القلم ١/١٥٥.

هاجر وقالت له: يا إبراهيم! أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي لا أنيس فيه ولا شيء، فقالت ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذاً لا يضيعنا[١].

وهذه أم المؤمنين خديجة بنت خويلد تلك المرأة الصالحة الناصحة الصادقة العاقلة ـ رضي الله عنها ـ حين أتاها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده راجعاً من غار حراء في ساعة هو في أشد الحاجة إلى من يسليه، ويهدىء من روعه وذلك حين نزل عليه جبريل بالحق من ربه، أتاها ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقال لها: «لقد خشيت على نفسي».

فقالت ـ رضي الله عنها ـ مسلية له: «كلا، والله ما يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل[٢]، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»[٣].

فمضى يَخِفُّ إلى خديجةَ زوجِهِ مترقباً في حيرة الوجلان
فإذا به يجد السعادة والرضا وتَقَرُّ من تطمينها العينان
تالله لا يخزيك يا علمَ التقى يا واصل الأرحام والجيران
يا مسعف الفقراء في آلامها يا مكرم الأيتام والضيفان
يا ماسح العبرات من آماقها ومخفف الآلام والأشجان

(١) انظر صحيح البخاري (٣٣٦٤) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به مطولاً.

(٢) الكَلُّ: هو من لا يستقل بأمره، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ﴾.

(٣) جزء من حديث رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) وغيرهما عن عائشة في قصة بدء الوحي الطويلة.

فكأنما كلماتها في لينها شَهْدٌ وفي التأثير سحر بيان[١]

وأخيراً لا يعزب عن بالك أيتها الزوجة أن لتعاون الزوجين على البر والتقوى آثاراً عظيمة، وثمراتٍ جليلةً، تعود عليهما وعلى ذويهما في الحاضر وفي المستقبل.

أما في الحاضر فإن شيوع هذه الروح في المنزل سبب لنزول الرحمة، وغشيان السكينة، ودوام الألفة والمحبة.

كما أن ذلك يؤدي إلى صلاح الأولاد، وحبهم لله، وتعظيمهم لشعائره، وسهولة انقيادهم لأوامره، واجتنابهم لنواهيه.

أما في المستقبل فإن صلاح الآباء يدرك الأولاد؛ فهذا الخضر ـ عليه السلام ـ لما بنى الجدار متبرعاً قال: ﴿ **وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَهُمَا وكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً** ﴾ (الكهف: ٨٢).

ثم إن الزوجين إذا فارقا الدنيا على الإيمان والتقوى جمعهما الله في جنته، ونفعهما بدعاء أولادهم الصالحين[٢].

٩ـ إرهاق الزوج بكثرة الطلبات:

فمن الزوجات من ترهق زوجها بكثرة الطلبات، دونما مراعاة لأوضاعه المالية؛ فهي تريد أن تلبس كما تلبس صديقتها فلانة، أو قريبتها فلانة، وتريد أن تستكثر من الزينة والأثاث كما استكثر آل فلان، وآل فلان.

ثم إن المناسبات كثيرة جداً؛ فكلُّ مناسبةِ زواجٍ لها لبوسها الخاص الجديد، وكلما تغيرت الأزياء وجب ملاحقة الجديد منها، وكلما رزقت قريبة أو صديقة بمولود

(١) الأبيات للشيخ ضياء الصابوني. انظر مجلة الجامعة الإسلامية ص٢٥٠ـ عدد ٥٣ عام ١٤٠٢هـ.

(٢) انظر عودة الحجاب د. محمد بن إسماعيل ٢/٢٦٤ـ٢٦٥.

بادرت إلى الهدية الباهظة الثمن، وكلما تزوج قريب لها سارعت إلى الإهداء إلى زوجته.

ثم إنها تنظر إلى الطبقات الثرية من الناس، فتجتهد في محاكاتها في الترف ومظاهر الأُبَّهَة.

وإذا سارت على هذه الطريقة فلا بد لها من إحدى حالين:

الحالة الأولى: أن تجد من الزوج غفلة أو ضعف إرادة، فترهقه بما تقترحه من النفقات إرهاقاً، وتُذْهِب ماء وجهه بذُلّ الدَّين؛ فمن ينفق من غير سعة فمصيره الفاقة والإفلاس، وذهاب ماء الوجه.

والحالة الثانية: أن يحزم الزوج أمره، فيتحمل الخصام معها؛ ليحافظ على كرامته بين الناس، فتبقى الزوجة مع زوجها الحازم في حالة ترى أنها مبتلاة به؛ لأنه لم يسر معها في تحقيق رغائبها.

وماذا ترى في عيشة صاحبين يعتقد أحدهما أن صحبته للآخر جَرَّتْ عليه شقاءً، وكدراً؟ فهل يقطعان مسافة الحياة في شيء من الراحة والصفاء؟.

إن هذا المرض المتفشي في بعض النساء قد يكون أحد الأسباب التي صرفت بعض الشبان عن الزواج؛ لأن الشاب يخشى أن يبتلى بزوجة تتعدى بمطالبها وما تشتهيه نفسها حدود المعروف؛ فإما أن ترهقه عسراً، وإما أن تسل ثوبها من ثوبه جانحة للفراق، وإما أن تبقى معه على غير مودة خالصة.

ولا يُنْكَر في هذا السياق أن بعض الأزواج يبخلون بالإنفاق على زوجاتهم مع القدرة واليسار؛ فليس الحديث ههنا في مثل هؤلاء.

والإسلام قد أعطى الحق للمرأة التي يمتنع زوجها عن الإنفاق عليها بما تحتاج إليه من ثياب وطعام يليق بها وهو قادر _ أن تأخذ من ماله بغير إذنه؛ لأن نفقتها واجبة.

قال ابن قدامة رحمه الله: «نفقة الزوجة واجبة بالكتاب والسنة والإجماع»[١].

وقال السرخسي رحمه الله: «يفرض بمقدار ما تقع به الكفاية، ويعتبر المعروف في ذلك، وهو فوق التقتير ودون الإسراف»[٢].

وجاء في الصحيحين عن عائشة _ رضي الله عنها _ أن هنداً قالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح، لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بنيَّ إلا ما أخذت من ماله بغير علمه؛ فهل علي في ذلك من جناح؟

فقال رسول الله ﷺ: «**خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك**»[٣].

أما إذا كان امتناع الزوج عن الإنفاق فيما يكون سرفاً وتبذيراً، أو فيما هو إرهاق له بما لا يحتمله فليس من حق الزوجة أن تعرّضه وتعرض بيتها للفقر والذلة[٤].

وخلاصة القول أن على الزوجة أن تقدِّر طاقة زوجها؛ فلا ترهقه من أمره عسراً، ولا تهدر ماله أشراً وبطراً، ولا تثقل كاهله بكثرة متطلباتها خصوصاً ما ليس بضرورة؛ لأن ذلك يشق عليه ويؤلمه؛ فلا يستطيع تحقيق هذه المطالب، ويعز عليه أن يظهر أمامها بمظهر العاجز الذي لا يستطيع تنفيذ ما تطلب.

فما أجمل الزوجة أن تصحب زوجها بالقناعة؛ فلا تتطلع إلى غيرها، ولا تمد عينها إلى محاكاة أترابها في اقتناء الكماليات.

بل عليها أن تحفظ على زوجها كرامته، وأن تتأسى بأمهات المؤمنين _ رضي الله

---

(١) المغني ٣٤٧/١١، وانظر المبسوط للسرخسي ١٨٠/٥، وبداية المجتهد لابن رشد ٥٣/٢، وحاشية ابن عابدين ٥٧٢/٣، والروضة للنووي ٤٠/٩.

(٢) المبسوط للسرخسي ١٨١/٥.

(٣) البخاري (٢٢١١)، ومسلم (١٧١٤).

(٤) انظر تفصيل الحديث عن النفقة في كتاب: من أخطاء الأزواج ص٣١_٣٥.

عنهن _ فقد كانت حالتهن كفافاً، وربما خلت بيوتهن من الطعام[(١)].

وإذا لم تسعدها الحال في مجاملة الأقارب والمعارف في نحو الهدية، وغيرها _ فليسعدها النطق بالكلمة الطيبة، والرسالة المعبرة، والتهنئة الرقيقة؛ فربما كان ذلك أوقع أثراً من هدية يصحبها الفخر، والزهو، وربما المن، والأذى، والإدلال.

وكما أن عند غيرها ما ليس عندها _ فقد يكون عندها ما ليس عند غيرها؛ فحري بها أن توسع نظرتها، وألا تقتصر على مجرد الأمور الظاهرة فحسب.

١٠_إقلاق الزوج بكثرة الارتباطات:

فمن الزوجات من هي كثيرة الارتباطات، فلا تكاد تمر مناسبة لأقاربها أو صديقاتها إلا وتبادر إلى المشاركة فيها؛ فهذا زواج لقريب أو قريبة، وهذه زيارة لصديقة أو أقارب، وهذه عيادة لمريضة، وهذه فرصة لاجتماع الجيران والصديقات، وهذه حفلة بمناسبة نجاح فلان أو فلانة، وهذه تهنئة بالمولود الجديد، وهذه زورة لآل فلان بمناسبة سكناهم في البيت الجديد، وهذه استزارة لآل فلان وفلان، وهكذا.

ثم إذا لم تذهب إليهم أشغلت الهاتف بمكالماتها التي قد تستمر مدة طويلة؛ فيترتب على ذلك إهمال المنزل، وإضاعة الأولاد، والتقصير في حق الزوج.

إن الزوج ليس بحاجة إلى زوجة ذات علاقات اجتماعية بقدر ما هو بحاجة إلى زوجة تأنس به، ويأنس بها، وتقوم على بيته، وترعى أولاده.

ولا يعني ذلك أن تنقطع الزوجة عن الناس البتة؛ فلا تصل أرحامها، ولا تواسل أخواتها أو صديقاتها.

وإنما المقصود من ذلك لزوم الاعتدال في علاقاتها، وإذا تعارض شيء من ذلك مع

---

(١) انظر رسائل الإصلاح ١٧٦/١، وأخلاقنا الاجتماعية ص١٢٥، وعودة الحجاب ٤٩٣/٢.

مصلحة الزوج يرمى به عرض الحائط.

١١ـ النشوز والتمرد على الزوج:

النشوز هو الارتفاع، والمرأة الناشز هي المرتفعة على زوجها، المخالفة لأمره، الخارجة عن طاعته، التي لم ترض بالمنزلة التي وضعها الله فيها، فلم تُسلّم لقوامة الرجل عليها.

وللنشوز صور كثيرة يجمعها معصية الزوج، والخروج عن طاعته.

وأنواع النشوز كثيرة لا تدخل تحت الحصر، لكن بعضها مما تعم به البلوى، ويعظم به الخطر؛ فمن ذلك ما يلي:

أ ـ الامتناع على الزوج إذا دعا إلى الفراش، وهذا من أعظم النشوز، وسيأتي الحديث عنه فيما بعد.

ب ـ خيانتها للزوج في نفسها، وذلك من خلال إقامة علاقات محرمة مع شخص أجنبي.

جـ ـ إدخال من لا يرضى الزوج إدخاله إلى بيته سواء بحضوره أو غيبته.

دـ تقصيرها في خدمته.

هـ ـ تلاعبها في أمواله، وصرفها في غير المعروف.

وـ إيذاؤه بسيىء القول، وسبه، وشتمه.

زـ خروجها من بيته بغير إذنه.

ح ـ إفشاؤها لسره، وهتكها لستره.

هذه بعض صور النشوز وأنواعه، وسيأتي في الفقرات التالية ـ إن شاء الله ـ مزيد بسط لها.

قال ابن قدامة رحمه الله: «معنى النشوز معصية الزوج فيما فرض الله عليها من

طاعته، مأخوذ من النشز وهو الارتفاع، فكأنها ارتفعت وتعالت عما فرض الله عليها من طاعته، فمتى ظهرت منها أمارات النشوز، مثل أن تتثاقل وتُدافع إذا دعاها، ولا تصير إليه إلا بتَكَرُّه ودمدمة _ فإنه يعظها، فيخوفها الله _ سبحانه _ ويذكُر ما أوجب الله له عليها من الحق والطاعة، وما يلحقها من الإثم بالمخالفة والمعصية، وما يسقط بذلك من حقوقها من النفقة والكسوة، وما يباح له من ضربها وهجرها»(١).

فيا أيتها المسلمة حذار حذار من معصية الزوج والنشوز عليه؛ فإن ذلك إثم كبير، ويعظم الخطب إذا كان زوجك صالحاً تقياً غير مقصر في حقك، ولا ظالم لك.

ثم إذا كان مقصراً فخذي حقك منه بالمعروف لا بالنشوز والمعصية والاستكبار عليه.

ثم اعلمي أن لله حدوداً من تعداها فقد ظلم نفسه، وعرَّضها لسخط الله وعقوبته.

وقيام المرأة بحق زوجها يعد من إقامة حدود الله، والزوجة الصالحة حافظة لحدود الله.

وهذه هي التي ترجى لها النجاة يوم العرض الأكبر على الله.

أما المرأة الناشز فهي متعدية لحدود الله، ظالمة لنفسها، مستحقة للعقوبة من ربها(٢).

ولقد جاءت الأخبار الدالة على عظم خطيئتها، وسوء عاقبتها.

فمن ذلك حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تؤذي امرأة زوجها في**

---

(١) المغني لابن قدامة ٢٥٩/١٠، وانظر: من أخطاء الأزواج ص ٩٤_٩٦ ففيه تفصيل لعلاج النشوز.

(٢) انظر صفة الزوجة الصالحة للشيخ عبدالله الجديع ص٣٤_٣٧.

الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله؛ فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا»[(١)].

وحديث عبدالله بن عمرو بن العاص ـرضي الله عنهماـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اثنان لا تجاوز صلاتهما رؤوسهما: عبد آبق من مواليه حتى يرجع إليهم، وامرأة عصت زوجها حتى ترجع**»[(٢)].

١٢ـ الامتناع على الزوج إذا دعاها للفراش:

فمن النساء من تَتَأَبَّى على زوجها إذا دعاها للفراش؛ إما بحجة أنها مرهقة، أو أنها تريد مشاكسته وإغضابه، أو لجهلها وقلة اكتراثها.

ومنهن من إذا آنست من زوجها رغبة في جماعها وهي لا ترغب في ذلك ـ أظهرت التأوه، والإعياء، والتشاغل؛ حتى يصرف الزوج نظره عنها.

وما علمت أنها قد حرمت زوجها من أعظم حقوقه، وعَرَّضت نفسها للوعيد الشديد؛ لأن من أعظم غايات النكاح أن يعف الرجل نفسه، ويقيها مهالك الشهوة ومعاطبها.

فإذا دعا امرأته لقضاء وطره، فامتنعت عليه كان امتناعها متنافياً مع هذه الغاية، معرضاً الزوج للوقوع في الحرام؛ فلذلك كان فرضاً عليها أن تأتيه إذا دعاها للفراش

---

(١) رواه أحمد ٥/٢٤٢، والترمذي (١١٧٤)، وابن ماجه (٢٠١٤)، والطبراني في الكبير ٢٠/١١٣، وأبو نعيم في الحلية ٥/٢٢٠، وصحح الألباني إسناده في الصحيحة (١٧٣).

(٢) أخرجه الطبراني في الصغير (٤٧٨)، والحاكم ٤/١٧٣، وسكت عنه هو والذهبي، وحسن الألباني إسناده في الصحيحة (٢٨٨).

والحديث أصله في الترمذي (٣٦٠)، وابن ماجه (٩٧١) بروايات قريبة من حديث الباب، وصححه ابن حبان (١٧٥٧) و (٥٣٥٥)، وابن خزيمة (١٥١٨).

في أي ساعة من ليل أو نهار؛ فطاعته في ذلك من أوجب الواجبات، ومعصيته من أكبر المعاصي.

فعن أبي هريرةﷺ قال: قال النبيﷺ: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه، فأبت أن تجيء، لعنتها الملائكة حتى تصبح**»(١).

قال الشوكاني رحمه الله: «وظاهر الحديث اختصاص اللعن بما إذا وقع منها ذلك ليلاً؛ لقوله: «**حتى تصبح**».

وكأن السر فيه تأكيد ذلك، لا أنه يجوز لها الامتناع في النهار، وإنما خص الليل بالذكر لأنه المظنة لذلك»(٢).

وعن أبي هريرة رحمه الله قال: قال رسول اللهﷺ: «**والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها، فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها**»(٣).

وعن طلق بن عليﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: «**إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتجبه وإن كانت على التنور**»(٤).

فإذا كان لا يسعها مخالفة زوجها، والامتناع عنه وهي على هذه الحال _ فكيف يسعها مخالفته فيما سوى ذلك من الأحوال؟(٥).

---

(١) رواه البخاري (٥١٩٣)، ومسلم (١٤٣٦).

(٢) نيل الأوطار للشوكاني ٦/٦٣٠.

(٣) رواه مسلم (١٤٣٦).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٤/٣٠٦، والترمذي (١١٦٠)، والطبراني في الكبير ٨/٣٣٠، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، ورواه النسائي في الكبرى (٨٩٧١)، وصححه ابن حبان (٤١٦٥).

(٥) انظر نيل الأوطار ٦/٦٢٩_٦٣١، وصفة الزوجة ص٤٣_٤٤.

على أنه يحسن بالزوج أن يقدر أحوال زوجته؛ فقد تكون مريضة، وقد تكون مجهدة أكثر من اللازم، إلى غير ذلك مما يعتريها؛ فذلك من حسن المعاشرة، ومن جميل المروءات.

١٣_ التقصير في خدمة الزوج:

فمن الزوجات من تُقَصّر في خدمة زوجها؛ فلا تقوم بقضاء حاجاته من نحو صناعة المأكل والمشرب، وغسيل الثياب ونحو ذلك، ولا تقوم برعاية المنزل والعناية بنظافته، ولا تقوم بإعداد ما يلزم لضيوف الزوج، أو أنها تقوم بتلك الأعمال بتثاقل وبرود وقلة اهتمام، مما يضطر الزوج إلى أن يتناول طعامه خارج المنزل، وإلى إرسال ثيابه إلى من يقوم بغلسها، أو إلى إكرام ضيوفه خارج المنزل، أو الإتيان بما يلزم الضيوف من خارج المنزل، أو أن يقوم هو بتلك الأعمال.

والسبب في ذلك تقصير الزوجة، وتكاسلها، لا غير.

ولو كان السبب كثرة مشاغل الزوجة في منزلها، أو إرهاقَها بكثرة الولائم، أو كان السبب عنايتَها بالأولاد، أو كان ذلك التقصير عارضاً _ لهان الخطب.

أما أن يكون هذا هو دأبها وديدنها دون سبب معقول _ فتلك هي المصيبة.

وهذا الصنيع من الزوجة خطأ وتقصير؛ ذلك أن خدمة الزوج من نحو صناعة الطعام، وغسيل الثياب، وتنظيف المنزل ونحو ذلك حق على الزوجة.

وهذا من الحق الواجب على القول الصحيح.

والحجة في ذلك ما جاء في حديث عمة حصين بن محصن حين سألها النبيﷺ: «**أذات بعل أنت**؟» قالت: نعم، قال: «**فأين أنت منه**؟» قالت: ما آلوا إلا ما

عجزت عنه، قال: «**فانظري أين أنت منه؛ إنما هو جنتك ونارك**»[(١)].

ومما يبين عظم حق الزوج قولهﷺ: «**حق الزوج على زوجته أن لو كانت به قرحة فلحستها، أو انتثر منخراه صديداً أو دماً ثم ابتلعته ما أدت حقه**»[(٢)].

وعن أبي هريرةؓ أن النبيﷺ قال: «**لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**»[(٣)].

ومما يدل ـ أيضاً ـ على وجوب خدمة الزوج قول النبيﷺ: «**والمرأة راعية على بيت بعلها وولده ومسؤولة عنهم**»[(٤)].

وهذه الرعاية عامة للزوج في جميع أحواله من غير استثناء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ؒ: «تنازع العلماء: هل عليها أن تخدمه في مثل فراش المنزل، ومناولة الطعام والشراب، والخبز، والطحن، والطعام لمماليكه وبهائمه، ومثل علف دابته ونحو ذلك؟

---

(١) أخرجه أحمد ٣٤١/٤ و ٤١٩/٦، وابن أبي شيبة ٣٠٤/٤، والحميدي (٣٥٥)، والنسائي في الكبرى (٨٩٦٢)، والبيهقي ٢٩١/٧، والطبراني في الكبير ١٨٣/٢٥، والحاكم ١٨٩/٢، وقال: صحيح، وأقره الذهبي، وجود إسناده المنذري في الترغيب ٥٣/٣.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٣٠٣/٤، والبزار ـ كشف الأستار (١٤٦٥)، والنسائي في الكبرى (٥٣٨٦)، وابن حبان (٤١٦٤)، والحاكم ١٨٨/٢ـ١٨٩، والبيهقي ٢٩١/٧، وجود إسناده المنذري في الترغيب ٥٤/٣، وقال الذهبي في تلخيص المستدرك: «منكر؛ قال أبو حاتم: ربيعة منكر الحديث». أي ربيعة بن عثمان، أحد رجال الإسناد.

(٣) أخرجه الترمذي (١١٥٩) وقال: حديث حسن غريب والحاكم (٢٧٦٨) و (٧٣٢٤) وصححه، وضعفه الذهبي من حديث أبي هريرة، وابن حبان (٤١٦٢) كلهم عن أبي هريرة، وللحديث طرق وروايات في السنن وغيرها عن قيس بن سعد، ومعاذ بن جبل، وأنس بن مالك وعائشة وغيرهم.

(٤) أخرجه أحمد ٥/٢ و ٥٤ـ٥٥، والبخاري (٥١٨٨)، ومسلم (١٨٢٩).

فمنهم من قال: لا تجب الخدمة، وهذا القول ضعيف كضعف من قال: لا تجب عليه العشرة والوطء؛ فإن هذا ليس معاشرة له بالمعروف.

وقيل ـ وهو الصواب ـ: وجوب الخدمة؛ فإن الزوج سيدها في كتاب الله، وهي عانية[1] عنده بسنة رسول الله ﷺ وعلى العاني والعبد الخدمة، ولأن ذلك هو المعروف.

ثم من هؤلاء من قال: تجب الخدمة اليسيرة، ومنهم من قال: تجب الخدمة بالمعروف، وهذا هو الصواب»[2].

وقال ابن القيم رحمه الله: «واحتج من أوجب الخدمة بأن هذا هو المعروف عند من خاطبهم الله ـ سبحانه ـ بكلامه.

وأما ترفيهُ المرأة، وخدمةُ الزوج، وكنسه، وطحنه، وعجنه، وغسيله، وفرشه، وقيامه بخدمة البيت ـ فمن المنكر، والله ـ تعالى ـ يقول: ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ (البقرة: ٢٨٨).

وقال: ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ** ﴾ (النساء: ٣٤).

وإذا لم تخدمه المرأة، بل يكون هو الخادم لها ـ فهي القوامة عليه.

وأيضاً فإن المهر في مقابلة البُضع، وكل من الزوجين يقضي وطره من صاحبه؛ فإنما أوجب الله ـ سبحانه ـ نفقتها وكسوتها ومسكنها في مقابل استمتاعه بها وخدمتها، وما جرت به عادة الأزواج.

وأيضاً فإن العقود المُطلقة إنما تنزل على العرف، والعرف خدمة المرأة وقيامها

---

(١) عانية: أسيرة.

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣٤/٩٠.

بمصالح البيت الداخلة.

وقولهم إن خدمة فاطمة وأسماء كانت تبرعاً وإحساناً يرده أن فاطمة كانت تشتكي ما تلقى من الخدمة فلم يقل لعليّ: لا خدمة عليها، وإنما هي عليك[١].

وهوﷺ لا يحابي في الحكم أحداً.

ولما رأى أسماء والعلف على رأسها والزبير معه لم يقل له: لا خدمة عليها، وأن هذا ظلم لها، بل أقره على استخدامها[٢]، وأقر سائر أصحابه على استخدام أزواجهم مع علمه بأن منهن الكارهةَ والراضية، هذا أمر لا ريب فيه»[٣].

وقال ﷺ: «ولا يصح التفريق بين شريفة ودنيئة، وفقيرة وغنية؛ فهذه أشرف نساء[٤] العالمين كانت تخدم زوجها، وجاءتهﷺ تشكو إليه الخدمة فلم يُشْكها»[٥].

إذا كان الأمر كذلك فإنه يجدر بالزوجة العاقلة أن تقوم على خدمة زوجها بنفس راضية، فتقوم على رعاية منزله، والعناية بأولاده، وتوفير كافة سبل الراحة له، وإعداد ما يناسبه من المطاعم، وغسل ثيابه وكيها؛ حتى تكسب رضا ربها، وحب زوجها.

ولتعلم أنها معانة ومسددة من الله إذا هي أخلصت النية، وأحسنت العمل.

ومع ما تقرر من وجوب قيام المرأة بخدمة زوجها ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ـ فإنه ليس للزوج أن يكلفها ما لا تطيق، بل عليه أن يرفق بها، ويعينها على شؤون

---

(١) انظر قصة علي مع فاطمة في صحيح البخاري (٦٣١٨)، ومسلم (٢٧٢٧).

(٢) انظر خبر أسماء بنت أبي بكر وخدمتها لزوجها الزبير في مسند الإمام أحمد ٣٤٧/٦ و٣٥٢.

(٣) زاد المعاد لابن القيم ١٨٨/٥.

(٤) يعني فاطمة ـرضي الله عنهاـ.

(٥) زاد المعاد ١٨٨/٥ـ١٨٩، وانظر فتح الباري ٤١٧/٩.

بيتها، كما كان رسول اللهﷺ يفعل.

تقول أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ حين سُئلت: ما كان النبيﷺ يصنع في بيته؟ قالت: يكون في مهنة أهله ـ تعني خدمتهم ـ فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة»[1].

وفي رواية أخرى أنها سُئلت: ما كان رسول اللهﷺ يعمل في بيته؟ قالت: كان بشراً من البشر، يفلي ثوبه، ويحلب شاته»[2].

وإذا لم يقم الزوج بذلك فلا أقل من أن يسمع زوجته كلمة ثناء وأن يريها ابتسامة رضاً[3].

١٤ـ إدخال من لا يأذن الزوج بدخوله في البيت:

فللزوج الحق في ألا يدخل بيته إلا من أحب، وفرض على الزوجة أن تطيعه في ذلك؛ فليس لها أن تدخل بيته من يكره دخوله، سواء كان ذلك المكروه دخوله من محارمها كأبيها أو أخيها، أو كان امرأة أجنبية أو قريبة حتى ولو كانت أمها، فضلاً عن غير أولئك؛ فلا تأذن لهم بالدخول إلا بإذن الزوج.

وبعض النساء تتهاون في هذا الحق، فتدخل في بيت زوجها من لا يأذن بدخوله، وذلك أمر لا يجوز؛ لما جاء في حديث جابرﷺ في خطبة النبيﷺ في حجة الوداع، حيث قال: «**ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك**

---

(١) أخرجه أحمد ٤٩/٦، ١٣٦، ٢٠٦، والبخاري (٦٠٣٩)، والترمذي (٢٤٨٩).

(٢) أخرجه أحمد ٢٥٦/٦، والبخاري في الأدب المفرد (٥٤١)، وابن حبان (٥٦٤٦)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٤٢٠).

(٣) انظر تفصيل ذلك في كتاب: من أخطاء الأزواج ص ٤٠ـ٤١.

فاضربوهن ضرباً غير مبرح»[١].

قال النووي رحمه الله في شرح الحديث: «والمختار أن معناه أن لا يأذنَّ لأحد تكرهونه في دخول بيوتكم، والجلوس في منازلكم، سواء كان المأذون له رجلاً أجنبياً، أو امرأة أو أحداً من محارم الزوجة؛ فالنهي يتناول جميع ذلك.

وهذا حكم المسألة عند الفقهاء، وأنها لا يحل لها أن تأذن لرجل أو امرأة، ولا محرم ولا غيره في دخول منزل الزوج إلا من علمت أو ظنت أن الزوج لا يكرهه؛ لأن الأصل تحريم دخول منزل الإنسان حتى يوجد الإذن في ذلك منه، أو ممن أذن له في الإذن في ذلك، أو عرف رضاه باطراد العرف بذلك ونحوه.

ومتى حصل الشك في الرضا، ولم يترجح شيء، ولا وجد قرينة ـ لا يحل الدخول، ولا الإذن والله أعلم»[٢].

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه**»[٣].

قال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث: «قال النووي: في هذا الحديث إشارة إلى أن لا يُفتات على الزوج بالإذن في بيته إلا بإذنه».

وهو محمول على ما لا تعلم رضا الزوج به، وأما لو علمت رضا الزوج بذلك فلا حرج عليها، كمن جرت عادته بإدخال الضيفان موضعاً معداً لأحدهم، سواء كان حاضراً أو غائباً؛ فلا يفتقر إدخالهم إلى إذن خاص لذلك.

---

(١) رواه مسلم (١٢١٨)، وأبو داود (١٩٠٥)، وابن ماجه (٣٠٧٤) والدارمي (١٨٥٧).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٨/٣٤٠.

(٣) البخاري (٥١٩٥).

وحاصله أنه لا بد من اعتبار إذنه تفصيلاً وإجمالاً»[١].

١٥_ الخروج من المنزل دون إذن الزوج :

فبعض النساء لا تبالي بإذن زوجها من عدمه؛ حيث تخرج من المنزل غير عابئة بزوجها؛ فتخرج بصورة معتادة إلى جيرانها وأقاربها، وتخرج إلى مناسبات الأفراح، أو إلى الأسواق، أو إلى الصديقات دون إذن الزوج.

وربما احتالت عليه في ذلك؛ فإذا أرادت الذهاب إلى مكان لا يأذن به الزوج طلبت منه زيارة أهلها، ومن هناك تذهب إلى حيث تريد.

وهذا الصنيع داخل في النشوز؛ ذلك أن للزوج منعها من الخروج.

قال ابن قدامة رحمه الله : «وللزوج منعها من الخروج من منزله إلى ما لها منه بُدٌّ، سواء أرادت زيارة والديها، أو عيادتهما، أو حضور جنازتهما.

قال أحمد في امرأة لها زوج وأم مريضة: طاعة زوجها أوجب عليها من أمها إلا أن يأذن لها»[٢].

وقال ابن قدامة رحمه الله : «ولا يجوز لها الخروج إلا بإذنه، ولكن لا ينبغي منعها من عيادة والديها وزيارتهما؛ لأن في ذلك قطيعة لهما، وحملاً لزوجته على مخالفته، وقد أمر _ تعالى _ بالمعاشرة بالمعروف، وليس هذا من المعاشرة بالمعروف»[٣].

وقال: «فإن أظهرت النشوز، وهو أن تعصيه، وتمتنع عن فراشه، أو تخرج من منزله بغير إذنه _ فله أن يهجرها في المضجع؛ لقول الله _ تعالى _: ﴿ **وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ** ﴾ (النساء: ٣٤).

(١) فتح الباري ٩/٢٠٧.

(٢) المغني ١٠/٢٢٤.

(٣) المغني ١٠/٢٢٤.

قال ابن عباس: لا تضاجعها في فراشك»[١].

وقال ابن الجوزي رحمه الله: «ينبغي للمرأة أن تحذر من الخروج مهما أمكنها؛ إن سلمت من الفتنة في نفسها لم يسلم الناس منها.

فإذا اضطرت إلى الخروج خرجت بإذن زوجها في هيئة رثة، وجعلت طريقها في المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق، واحترزت من سماع صوتها، ومشت في جانب الطريق لا في وسطه»[٢].

والحاصل أن خروج المرأة من منزلها بغير إذن زوجها ذنب عظيم يجب على المرأة أن تحذر منه، وأن تتوب إلى الله إن كانت واقعةً فيه.

ثم إن الخروج سبب لتسلط الشيطان على المرأة، كما أنه حرمان لها من نعمة القرار في البيت وما فيها من الراحة والأنس والسكون.

قالﷺ: «**المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان**»[٣].

قال ـ تعالى ـ مخاطباً المؤمنات: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى**﴾ (الأحزاب: ٣٣).

ولو أدركت المرأة المسلمة ما في مكثها وقرارها في بيتها من السعادة والأنس، والراحة، والنعيم ـ لآثرت البقاء على الخروج، ولو علمت مدى ما تعانيه الخراجات الولاَّجات من إضاعة المنزل، وتشتت القلب، وضيق الصدر ـ لما فرطت في سعادتها

---

(١) المغني ١٠/٢٥٩.

(٢) أحكام النساء لابن الجوزي ص٦٨.

(٣) أخرجه الترمذي (١١٧٣) وقال: حديث حسن غريب، وصححه ابن خزيمة (١٦٨٥) و (١٦٨٦)، وابن حبان (٥٥٩٨)، و(٥٥٩٩).

في بيتها، وبين أولادها، ومع زوجها[1].

١٦ـ طاعة الزوج في معصية الله:

لا ريب أن طاعة الزوج واجبة على الزوجة، وهذه الطاعة داخلة في معنى القوامة التي بينها الله ـ عز وجل ـ في قوله: ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ** ﴾ (النساء: ٢٣٣).

فلهذه الطاعة أثرها في استقامة الحياة الزوجية، وسعادتها، وحسن التربية للأولاد.

ومن تقوم بذلك ابتغاء مرضات الله فلها الثواب الجزيل.

ولكن ذلك لا يعني أن تطيع الزوجة زوجها طاعة مطلقة، فتطيعه بكل ما أمر به ولو كان معصية لله؛ فالطاعة إنما هي بالمعروف، وفي غير المعصية؛ فلا يجوز لها أن

---

(١) لقد عبر عن مدى ما تعانيه المرأة من جراء خروجها من منزلها وحرمانها من نعمة القرار في البيت مع الأولاد عدد من المشهورات في عالم الفن.

فهذه (مارلين مونرو) تلك المرأة التي تعد أشهر ممثلة في الإغراء في وقتها، ماتت منتحرة، واكتشف المحقق الذي يدرس قضية انتحارها رسالة محفوظة في صندوق الأمانات في مانهاتن بانك في نيويورك، ووجد على غلافها كلمة تطلب عدم فتح الرسالة قبل وفاتها.

ولما فتح المحقق الرسالة وجدها مكتوبة بخط مارلين مونرو بالذات، وهي موجهة إلى فتاة تطلب نصيحة مارلين عن الطريق إلى التمثيل.

قالت مارلين في رسالتها إلى الفتاة، وإلى كل من ترغب بالعمل في السينما:

احذري المجد، احذري كل من يخدعك بالأضواء؛ إني أتعس امرأة على هذه الأرض، لم أستطع أن أكون أمًّا، إني أفَضِّل البيت، الحياة العائلية الشريفة على كل شيء، إن سعادة المرأة الحقيقية في الحياة العائلية الشريفة الطاهرة، بل إن هذه الحياة العائلية هي رمز سعادة المرأة، بل الإنسانية. انظر: حضارة الإسلام العدد الثالث للمجلد الثالث ص٣٣١، وانظر المرأة بين الفقه والقانون للسباعي ص٣١٥ـ٣١٦.

هذا وسيأتي مزيد بيان لمثل هذه الأقوال فيما سيأتي من صفحات.

تطيعه إذا أمرها بمعصية الله، كأن يأمرها بشرب المسكرات، أو إعدادها، أو التشبه بالكافرات، أو نزع الحجاب، أو ترك الصلاة، أو أن توافقه بأن يجامعها في نهار رمضان، أو أن يجامعها وهي حائض، أو أن يجامعها في دبرها عياذاً بالله؛ فليس له طاعة في هذه الأحوال وما شاكلها، بل تحرم عليها طاعته.

والقاعدة العامة في ذلك قول الرسول ﷺ: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»(١).

وقد عقد الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه باباً قال فيه: «لا تطيع المرأة زوجها في معصية الله».

ثم قال: «حدثنا خلاد بن يحيى، حدثنا إبراهيم بن نافع، عن الحسن ـ هو ابن مسلم ـ عن صفية عن عائشة: أن امرأة من الأنصار زوجت ابنتها، فتمعط(٢) شعر رأسها، فجاءت إلى النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فقالت: إن زوجها أمرني أن أصل في شعرها، فقال: «**لا؛ إنه قد لُعِنَ المستوصلات**»(٣).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث: «فلو دعاها الزوج إلى معصية فعليها أن تمتنع؛ فإن أدَّبها على ذلك كان الإثم عليه»(٤).

ولا يعني عدم طاعة الزوج في معصية الله أن تشتد عليه بالنكير في بداية الأمر، وإنما تبدأ بملاطفته، ووعظه، وتذكيره بالله، فتأخذَ بالتي هي أحسن في معاملته.

فإن أبى وأصر على غيه أنكرت عليه، وأخذت بالتي هي أرضى لله، وتركت

---

(١) رواه أحمد ١/١٢٩ و ١٣١ و ٤٠٩ و٥/٦٦، والطبراني في الكبير ١٨/١٧٠_١٧١، والحاكم ٢/٤٤٣، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) تمعط: أي تمرط وسقط من داء يعرض له. انظر لسان العرب ٧/٤٠٥.

(٣) البخاري (٥٢٠٥).

(٤) فتح الباري ٩/٢١٥.

طاعته التي تكون بمعصية الله[١].

١٧_ المبالغة في الغيرة على الزوج:

فالغيرة طبع في النساء، ومنها ما هو مذموم، ومنها ما هو محمود.

فالمذموم منها تلك الغيرة التي تتأجج في صدر صاحبتها ناراً موقدة تشعل جيوش الظنون والشكوك، فتحيل حياة الأسرة جحيماً لا يطاق.

والغيرة المعتدلة هي التي لا تتسلط على صاحبتها؛ فلا تثير عندها شكوكاً ولا أوهاماً؛ فهذه غيرة مقبولة، وقد تستملح أحياناً.

قال ابن حجر رحمه الله: «الغيرة بفتح المعجمة، وسكون التحتانية بعدها راء.

قال عياض وغيره: وهي مشتقة من تغير القلب، وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص، وأشد ما يكون بين الزوجين»[٢].

وعقد الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه باباً قال فيه: «باب غيرة النساء وَوَجْدهن».

وذكر تحت هذه الترجمة حديث عائشة _ رضي الله عنها _ أنها قالت: «ما غرْتُ على امرأة لرسول الله ﷺ كما غرت على خديجة؛ لكثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها، وثنائه عليها»[٣].

قال ابن حجر رحمه الله في شرح هذه الترجمة: «قوله: باب غيرة النساء ووجدهن».

هذه الترجمة أخص من التي قبلها، ولم يَبُتَّ المصنف حكم الترجمة؛ لأن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص.

وأصل الغيرة غير مكتسب للنساء، لكن إذا أفرطت في ذلك بقدر زائد تلام.

---

(١) انظر أحكام الزواج لابن الجوزي ص١٥١.

(٢) فتح الباري ٩/٢٣١.

(٣) البخاري (٥٢٢٩).

وضابط ذلك ما ورد في الحديث الآخر عن جابر بن عتيك الأنصاري ـ رفعه « **أن من الغيرة ما يحب الله، ومنها ما يبغض الله؛ فأما الغيرة التي يحب الله فالغيرة في الريبة، وأما الغيرة التي يبغض فالغيرة في غير ريبة** »[(١)].

وهذا التفصيل يتمحض في حق الرجل؛ لضرورة امتناع اجتماع زوجين للمرأة بطريق الحلّ.

وأما المرأة فحيث غارت من زوجها في ارتكاب محرم، إما بالزنا مثلاً، وإما بنقص حقها، وجوره عليها لضرتها، وإيثارها، فإذا تحققت ذلك أو ظهرت القرائن ـ فهي غيرة مشروعة؛ فلو وقع ذلك بمجرد التوهم من غير دليل فهي الغيرة في غير ريبة.

وأما إذا كان الزوج مقسطاً عادلاً، وأدى لكل من الضرتين حقها فالغيرة منهما إن كانت لما في الطباع البشرية التي لم يسلم منها أحد من النساء ـ فتُعذر فيها، ما لم تتجاوز إلى ما يحرم عليها من قول أو فعل.

وعلى هذا يحمل ما جاء عن السلف الصالح من النساء في ذلك »[(٢)].

فالغيرة ـ إذاً ـ ليست شرًّا دائماً، وإنما الشر فيما كان مبالغاً فيه من الغيرة؛ فغيرة المرأة على الرجل هي ـ في الحقيقة ـ إحساس صادق لمدى حبها له، وهي في الوقت نفسه صورة معبرة عن حرصها على الاستئثار به، وهي كذلك حالة نفسية تعبر عن خوف المرأة على مستقبلها في الحياة؛ فهذا المزيج من الحب الخالص، والأثرة المفرطة، والخوف الزائد ـ يصنع في المرأة عاطفة الغيرة.

إن شعور المرأة بحبها لزوجها قد يدفعها إلى إسعاده، وتهيئة الجو المناسب لتحقيق

---

(١) رواه النسائي في الكبرى (٢٣٣٩)، وفي المجتبى (٢٥٥٨)، وأبو داود (٢٦٥٩)، والدارمي (٢٢٢٦)، وابن حبان في صحيحه (٢٩٥) و (٤٧٦٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٠٥).

(٢) فتح الباري ٩/٢٣٧.

آماله.

غير أن إحساسها بحبها لنفسها، وخوفها على مستقبلها في الحياة قد يقودها إلى فرض القيود على زوجها الذي أحبته؛ مؤملة بذلك أن يكون خيره كله لها، ولأولادها.

وقد تزيد الغيرة عن هذا الحد، فتودي بالمرأة إلى تصرفات غريبة شائنة بدايتُها الشكُّ في الزوج؛ وتفسير تصرفاته على غير وجهها؛ فتشك فيه إذا التفت فرأى امرأة تسير، وتشك فيه إذا رفع سماعة الهاتف فخفض صوته، وتشك فيه إذا غاب لسفر أو نحوه، وتشك فيه إذا تشاغل عنها في بعض الأحيان.

كل ذلك مع أن الزوج لم تظهر عليه علائم الفساد، ولا الجناح إلى الشر.

وقد تزيد في مطالبها لزوجها، فتستنزف ماله قدر المستطاع؛ كيلا يذهب شيء منه إلى أمه، أو أخواته، أو لأجل أن لا يبقى عنده فضل مال يتزوج به زوجة أخرى.

ثم بعد ذلك تبدأ آلامها؛ لانتفاع غيرها بزوجها، ثم تنتقل إلى اتهام أهل زوجها، وإلى إثارة المنازعات، وتدبير المكائد، وربما تلجأ إلى السحر عياذاً بالله إلى غير ذلك من التصرفات الطائشة الشائنة.

إن نيران الغيرة تلتهب بوقود خاص، وهذا الوقود قد يكون نقياً نظيفاً، فتمنحنا نيرانه النور، والدفء، والأمل.

وقد يكون قذراً لا ينبعث من نيرانه غير دخان يزكم الأنوف، ويعمي الأبصار.

ومن أسباب ذلك الوقود القذر ضعفُ التربية الدينية والخلقية، وهذا ما يثير أطماعها، ويحيي أحقادها[١].

---

(١) انظر تعدد الزوجات د. عبدالناصر العطار ص٥١_٥٤، وعودة الحجاب ٢/٥٥٠_٥٥١.

ومن أسباب ذلك جهلها بالعواقب.

ومن أسباب ذلك _ أيضاً _ حماقة الرجل، وسوء تصرفاته.

ولهذا يجب على الزوجة التي تروم السعادة لنفسها ولزوجها أن تعتدل في غيرتها، ومما يعينها على ذلك مايلي:

أ _ أن ترضى بقضاء الله وقدره: فما أصابها لم يكن ليخطئها، وما أخطأها لم يكن ليصيبها، وما كتب عليها لا بد أن يأتيها.

ب _ ترك الاسترسال مع الأوهام: التي تنسجها الأذهان الحائرة المبلبلة.

ج _الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم: قال _ تعالى _: ﴿**وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنْ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ (الأعراف: ٢٠٠).

د _ تحكيم العقل: وترك الانسياق وراء العاطفة.

هـ _ المجاهدة: فتجاهد نفسها على التخلص من هذه الأوهام؛ ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (العنكبوت: ٦٩).

و _ الدعـــاء: فتسأل ربها أن يعينها على نفسها، وأن يجنبها كل ما يزري بها.

ز _ النظر في العواقب: فما عاقبة سوء الظن، والمبالغة في الغيرة إلا خراب البيت، وزوال النعمة؛ فهل ترضى العاقلة بهذا المنقلب؟

ح _الاشتغال بما ينفع: من نحو الإقبال على الله، والقيام بشأن المنزل؛ لأن الفراغ يولد كثيراً من المشكلات.

ط _ تغليب جانب التفاؤل: فالمتفائل واسع النظرة، فسيح الصدر، عالي الهمة، موفور النشاط.

بخلاف المتشائم؛ فهو فاتر الهمة، ثقيل الظل، متبلد كسول، لا تحدوه غاية حميدة، ولا يدفعه هدفٌ سامٍ.

بل تراه يعيش في عالم الأحلام، والأوهام والخيال، ويشعر دائماً بالخيبة والخذلان، ويسيء ظنه بالآخرين، ولا ينظر إليهم إلا بعين الريبة؛ فهو مغلق النفس، ضيق الصدر[١].

ألا إنما بشر الحياة تفاؤل تفائل تعش في زمرة السعداء

ي ـ ترك التوقع للشر: فمن الحكمة أن لا يجمع الإنسان على نفسه بين الألم بتوقع الشر والألم بحصول الشر؛ فليسعد ما دامت أسباب الحزن بعيدة، فإذا حدثت فليقابلها بشجاعة واعتدال.

قال أبو علي الشبل:

ودع التوقع للحوادث إنها للحي من قبل الممات ممات[٢]

١٨ـ سوء تصرف المرأة إذا عدد زوجها:

فمن النساء من إذا تزوج عليها زوجها بالغت في الغيرة، وتصرفت بجهل، وحمق، ونزق، وسفه.

فقد تعترض على حكمة التعدد، وقد تدعو بالويل والثبور، وقد تخمش وجهها، وتشق جيبها، وقد تهجر منزل زوجها، وتذهب إلى بيت أهلها.

ومنهن من تشرع بذم زوجها، وتعداد معايبه، بل واختلاق ما هو براء منه.

ومنهن من تغري أولادها بأبيهم، فتوصيهم بعقوقه، وإغلاظ الجانب له.

بل ومنهن ـ عياذاً بالله ـ من يبلغ بها الجهل والسفه مبلغه، فتبيع دينها بالذهاب إلى السحرة والمشعوذين؛ رغبة في عطف قلب الزوج إليها، وصرفه عن زوجته الجديدة.

---

(١) انظر تكوين الشخصية د. نوري الحافظ ص١١٤ـ١١٦.

(٢) صيد الخاطر ٢/٣٣٩.

إلى غير ذلك من التصرفات التي تنم عن جهل، وسفه، ورقة دين.

فما النتيجة من هذه التصرفات الرعناء؟ إنها لن تجدي نفعاً، ولن تطفىء لوعة، بل قد تكون سبباً في خسران الدنيا والآخرة.

فيا أيتها الزوجة الكريمة، أحسني معاملة زوجك، واملأي عليه المنزل سعادة وسروراً.

وإذا ابتليت بأن يعدد زوجك فاعملي بما تقتضيه الحكمة والدين، وما يدعو إليه داعي العقل والمروءة.

نعم لا يراد منك ما ليس في وسعك؛ فيقال لك افرحي، أو لا تغاري البتة؛ فذلك ليس بمقدورك.

ولكن ـ كما تقول العرب في أمثالها ـ إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون[١].

ومما توصى به الزوجة ـ إذا عدد زوجها، ومما يعينها على تحمل المصيبة مايلي:

أ ـ الصبر عند الصدمة الأولى: وذلك بالاسترجاع، وقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإذا صبرت في بداية الأمر هانت عليها المصيبة، وأعانها الله على السلوان.

ب ـ توطين النفس على الوضع الجديد، والحذر من تضخيم الأمر.

ج ـ التسليم لله: فتسلم الزوجة لله، وترضى بقضائه وقدره؛ فهذا الذي يجدي في العاجل والآجل.

د ـ الحذر من الاعتراض على حكمة التعدد: لأن الاعتراض على حكمة التعدد إنما هو اعتراض على حكم الله وتشريعه ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾ (الأحزاب: ٦).

(١) الأمثال لأبي عبيد ص٢٣٧.

هـ ـ التماس الخيرة: فما من محنة إلا وتحمل في طيها منحة؛ فمن الخير للزوجة أن تلتمس الخيرة إذا عدد زوجها؛ حتى تعزي نفسها، وتنظر فيما هو أنفع لها، فتقول ـ على سبيل المثال ـ: إن الزوجة الجديدة ستتحمل عني بعض المسؤولية، مما يزيد في راحتي وفراغي، فأزداد إقبالاً على ربي، وتفرغاً لتربية أولادي.

وتلتمس الخيرة ـ أيضاً ـ باحتساب الأجر، وتذكر ما أعده الله للصابرين.

وتلتمس الخيرة بأن بقاءها مع زوجها إذا عدد خير لها من طلاقها.

وتلتمس الخيرة بأن تشفق على بنات جنسها؛ فلو اقتصر كل رجل على امرأة واحدة لعم الفساد، ولعاشت بقية النساء بنكد وشقاء.

و ـ الحذر من إيذاء الزوجة الجديدة: سواء بالقول أو بالفعل، أو بالكيد لها، أو إغراء الزوج بها؛ فما هي إلا مبتلاة، وقد تكون مطلقة، وهاهي الآن تعيش مع ذي زوجة.

ثم ما ذنبها حتى تُؤذى؟ وما الثمرة منْ إيذائها إلا غضب الرب، واحتمال البهتان، والتعرض للعقوبة ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً** ﴾ (الأحزاب: ٥٨).

ولهذا فإن الزوجة العاقلة لا تفكر في أذية ضرتها، بل قد تسمو بها الحال فتحسن إليها، وتحب لها ما تحبه لنفسها، بل وتقابل إساءتها بالإحسان.

وكم يُرى من الضرات العاقلات من هن كالأخوات في التوادد والتراحم، والتعاون على البر والتقوى.

وما ذلك إلا لقوة إيمانهن، وكمال عقولهن، وكبر نفوسهن.

ز ـ تذكر نعم الله: فذلك يقود إلى شكره، وبالشكر تدوم النعم؛ فتذكري أيتها الزوجة ما أنت فيه من نعمة الإسلام، ونعمة الصحة، ونعمة الزوج؛ فغيرك ليس

عندها زوج، وقد تكون مريضة لا تفكر بزوج ولا ولد، بل قصاراها ومنتهى أملها نيل الصحة والعافية.

وتذكري مصائب الآخرين، وما ينزل بهم من بلايا ورزايا، وتذكري أنك لست الأولى التي عدد زوجها ولا الأخيرة، واستحضري بأن الزواج ليس استئثاراً بالزوج فحسب، ولا مجرد قضاء الوطر؛ فهناك نعمة الأولاد، ونعمة الستر، ونعمة الرضا بقسم الله.

وتذكري بأن التعدد ليس نهاية المطاف، ولا يعني أن الزوج قد مال عنك، وزهد بك، أو أن زواجه بالثانية دليل على نقص بك.

بل قد يكون الحامل له على ذلك أسباب أخرى.

وتذكري بأن غيرك قد تكون وحيدة زوجها، ومع ذلك تعيش تعيسة شقية.

وتذكري بأن السعادة ليست مقصورة على الزوجة التي انفردت بزوجها، وأن التعاسة ليست من نصيب من عدَّد زوجها.

وإنما السعادة تنبع من داخل النفس، وأعظم مادة لها رضا العبد بقسمة الله له.

ح ـ اطراح المبالاة بكلام الناس: فذلك هو باب العقل والراحة كلها كما قال ابن حزم رحمه الله[1].

فمن أثقل الأمور على الزوجة إذا عدد زوجها كلام الناس عن ذلك التعدد، وسؤالهم عن أسبابه، فذلك يشق على الزوجة.

ومما يعينها على قلة الاهتمام بكلام الناس أن تستحضر أنه لا يضرها أبداً إلا إذا اشتغلت به، فإذا أعرضت عنه، وجعلته دبر أذنها لم يؤثر فيها أبداً.

---

(١) انظر الأخلاق والسير لابن حزم ص١٧.

ومن ذلك أن تعلم علم اليقين أن الناس لا يشغلهم أمرها كثيراً؛ فهم مشغولون في أنفسهم في غالب أمرهم؛ فأدنى شيء يحدث لهم ينسيهم أمرها.

ط ـ طرد الهم ومحاربة الكآبة: فلا يحسن بالمرأة إذا عدد زوجها أن تغرق في همومها، وأن تسترسل مع أحزانها.

بل يحسن بها أن تحارب الكآبة، وأن تدرأ الهم عن النفس ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً؛ بحيث تتجلد، ولا يرى الناس منها الجميل؛ فذلك أعلى لقدرها، وأسلم لها من شماتة الناس بها.

ومن أحكم ما قالته العرب:

ولربما ابتسم الكريم من الأذى وفؤاده من حَرّه يتأوه

ي ـ استحضار أن الراحة التامة الكاملة ليست في الدنيا: فالدنيا دار نَصُب، وكبد، وعناء.

والراحة التامة والسعادة الكاملة إنما تكون في الآخرة لمن آمن وعمل صالحاً.

فإذا هي استحضرت هذه المعاني، وأخذت بتلك الأسباب كان حرياً أن تسلو، وترضى.

١٩ـ التقصير في تربية الأولاد:

فالأم هي المدرسة الأولى للأولاد، والبيت هو اللبنة التي يتكون من أمثالها بناء المجتمع، وفي الأسر الكريمة التي تقوم على حفظ حدود الله، وعلى دعائم المحبة والمودة والإيثار والتعاون على البر والتقوى ـ ينشأ رجال الأمة، ونساؤها، وقادتها، وعظماؤها.

والولد قبل أن تربيه المدرسة، والمجتمع يربيه البيت والأسرة، وهو مدين لأبويه في

سلوكه المستقيم، كما أن أبويه مسؤولان إلى حد كبير عن انحرافه.

ومع عظم هذه المسؤولية إلا أن كثيراً من الناس قد فرط فيها، واستهان بأمرها، ولم يرعها حق رعايتها؛ فأضاعوا أولادهم، وأهملوا تربيتهم.

ثم إذا رأوا منهم تمرداً أو انحرافاً بدأوا يتذمرون، وما علموا أنهم السبب الأول في ذلك.

فمن التقصير في تربية الأولاد تربيتهم على الجبن، والخور، والفزع من كل شيء.

ومن ذلك تربيتهم على سلاطة اللسان، والتطاول على الآخرين.

ومن ذلك تربيتهم على الفوضى والميوعة، والترف، والبذخ.

ومن ذلك تربيتهم على القسوة المتعدية لطورها، ومن ذلك الحرمانُ والتقتير الشديد.

ومما يتسبب في انحرافهم أن يكون الوالدان قدوة سيئة للأولاد؛ فما ظنك ببنت ترى أمها تتهاون بالصلاة، وتجلب المنكرات للمنزل، وتتبرج إذا أرادت الخروج من المنزل.

ومن ذلك كثرة المشكلات بين الوالدين، والعهد للخادمات بتربية الأولاد.

ومن التقصير ـ أيضاً ـ أن تعمل المرأة خارج المنزل، وتقضي جزءاً كبيراً من الوقت بعيداً عن أولادها وزوجها دون أن توفق بين عملها ورعاية منزلها[1].

وهذا من الخلل، خصوصاً إذا لم تكن محتاجة للعمل، أو كان أولادها وزوجها سيهملون إهمالاً تاماً.

وإنما تعمل كي يزيد مصروفها، فتزداد من الإسراف في الكماليات.

وما أكثر الدعاوى التي تنادي بعمل المرأة ومساواتها بالرجل ـ كما زعموا ـ ونسوا

---

(١) انظر التقصير في تربية الأولاد للكاتب.

أو تناسوا أن المرأة إذا عملت، وزاحمت الرجل أن سيتضاعف تعبها، وسيكون ذلك على حساب بيتها.

ولهذا جعل الإسلام القوامة للرجل، وعهد بالزوجة رعاية المنزل؛ فهذا هو مقتضى الفطرة[1].

---

(١) ولقد فطن إلى هذه الحقيقة كثير من العقلاء والباحثين حتى من غير المسلمين، تقول المحامية الفرنسية كريستين بعد أن زارت بعض بلاد الشرق المسلم: «سبعة أسابيع قضيتها في زيارة كل من بيروت، ودمشق، وعمان، وبغداد وهاأنذا أعود إلى باريس، فماذا وجدتُ؟ وجدتُ رجلاً يذهب إلى عمله في الصباح، يتعب يشقى، يعمل حتى إذا كان المساء عاد إلى زوجته ومعه خبز، ومع الخبز حُبٌّ، وعطف، ورعاية لها ولصغارها.

الأنثى في تلك البلاد لا عمل لها إلا تربية جيل، والعناية بالرجل الذي تحب، أو على الأقل بالرجل الذي كان على قَدَرَها.

في الشرق تنام المرأة، وتحلم، وتحقق ما تريد؛ فالرجل قد وفر لها خبزاً، وحبًّا، وراحة، ورفاهية.

وفي بلادنا حيث ناضلت المرأة من أجل المساواة، فماذا حققت؟

انظر إلى المرأة في غرب أوربا، فلا ترى أمامك إلا سلعة؛ فالرجل يقول لها: انهضي لكسب خبزك؛ فأنت قد طلبت المساواة، وطالما أنا أعمل فلا بد أن تشاركيني في العمل؛ لنكسب خبزاً معاً.

ومع الكد والعمل؛ لكسب الخبز تنسى المرأة أنوثتها، وينسى الرجل شريكته في الحياة، وتبقى الحياة بلا معنى ولا هدف». انظر من أجل تحرير حقيقي للمرأة للأستاذ محمد رشيد العويد ص٩٤_٩٥.

وتقول الكاتبة الفرنسية مايا جانينا عن وضع النساء في روسيا: «إن النساء لا يزلن في روسيا يفتقرن إلى تكافؤ الفرص؛ حيث أنهن يعملن أكثر من الرجال، فيقمن بأعمال التنظيف والطهي والعناية بالصغار بعد أن يؤدين أعمالهن اليومية في المصانع والمزارع». من أجل تحرير حقيقي ص٩٥.

وجاء في كتاب (فتاة الشرق في حضارة الغرب) للأستاذ محمد جميل بيهم:

«وجدير بالذكر الإشارة إلى أنه حتى النساء اللواتي قضي عليهن بمغادرة المنزل وراء الكسب غلب عليهن الأسى والندامة لهذا المصير، وأكبر دليل على ذلك الاستفتاء الذي قام به معهد غالوب في أمريكا من مدة قريبة_وهو معهد مُهمته الاستفتاءات العامة لتحديد اتجاهات الرأي العام_قام باستفتاء عام في جميع=

والمرأة في الإسلام راعية في بيت زوجها، ومسؤولة عن رعيتها، وهذه الرعاية تشمل تربية الأولاد، والعناية بهم؛ فعليها تربيتهم على الفضيلة، ومكارم الأخلاق، مع تجنيبهم كل ما ينافي ذلك.

٢٠_ قلة المراعاة لأحوال الزوج ومشاعره:

فمن الزوجات من تغفل عن مراعاة أحوال زوجها ومشاعره؛ فقد تزعجه بالأخبار السيئة، وتكثر الطلبات منه إذا عاد إلى المنزل منهكاً مكدوداً قد بلغ به الإعياء مبلغه.

وقد تكثر من ترداده إلى السوق؛ ليأتي بما يحتاجه المنزل، فإذا رجع إلى المنزل ذكرت حاجة أخرى، فعاد إلى السوق مرة أخرى، وقد يرجع أكثر من ذلك، وقد يتكرر هذا منها مرات عديدة.

وقد يكون الزوج حاد المزاج، شديد التأثر لأقل الأشياء المخالفة لذوقه؛ فلا تراعي الزوجة فيه هذه الخصلة، فربما تضحك وهو في حالة غضب أو حزن، وقد يوجه لها الخطاب فتعرض وتشيح بوجهها عنه، وقد يتكلم بكلمة غضب فتجيبه بعشر كلمات.

وقد تتعمد إغضابه، وإثارته، فما هي إلا أن تتحرك العاصفة، وينفجر البركان، ويحصل ما لا تحمد عقباه.

ومن قلة المراعاة لأحواله ومشاعره _ قلة المراعاة لوقت نومه، وأكله، وقراءته، ونحو ذلك.

=الأوساط في الولايات المتحدة بصدد تعيين رأي النساء الكاسبات في صدد العمل، وإذا هو ينشر الخلاصة الآتية:

إن المرأة متعبة الآن، ويفضل ٦٥ ٪ من نساء أمريكا العودة إلى منازلهن.

كانت المرأة تتوهم أنها بلغت أمنية العمل، أما اليوم وقد أدمت الطريق قدمها، واستنزفت الجهود قواها_ فإنها تود الرجوع إلى عشها، والتفرغ لاحتضان فراخها». انظر: المرأة بين الفقه والقانون ص٢٥٩.

ومن ذلك قلة العناية بمخاطبته ومحادثته، فلا تناديه بأحب الأسماء إليه، ولا تخفض صوتها إذا خاطبته إلى غير ذلك مما ينافي أدب المخاطبة والمحادثة.

ومن ذلك أن تبدأ بتنظيف البيت، أو مكافحة الحشرات بالمبيدات إذا دخل الزوج المنزل، أو هم بالنوم، أو الأكل، فتزعجه بالجلبة، وتزكم أنفه بالروائح التي لا تروقه.

فمثل هذه الأعمال تقصير في حق الزوج، ودليل على حمق المرأة، وخفة عقلها، وقلة ذوقها.

فالذي تقتضيه الحكمة أن تراعي الزوجة أحوال زوجها، ومشاعره، وأن تعمل ما في وسعها لإدخال السرور عليه، وإزالة الهم والغم عن قلبه، فتفرح لفرحه، وتحزن لحزنه، حتى يشعر بأنها تتعاون معه، حيث يسرها ما يسره، ويحزنها ما يحزنه.

ولا ينبغي لها أن تظهر بمظهر السرور إذا كان محزوناً، كما ينبغي أن تكظم حزنها إذا رأته مسروراً؛ فإن ذلك أدعى لدوام الألفة، وأدل على كرم نفس الزوجة.

ومما ينبغي لها أن تجمع ما يحتاجه المنزل، وتخصص وقتاً في الأسبوع أو الشهر أو نحو ذلك، فتكتب ما تحتاجه في ورقة؛ كي يأتي به مرة واحدة بدلاً من كثرة ترداده في حاجات يسيرة.

ولا يعني ذلك أن تكون هذه قاعدة مطردة، فقد تقتضي الحال إرساله أكثر من مرة في اليوم، ولكن تحاول قدر المستطاع أن تختصر ذلك.

ومما ينبغي لها في هذا الصدد أن ترعاه في طعامه، فتصنع له ما يشتهيه، وتنوع له الطعام كيلا يسأم، وتلاحظ الوقت الذي تقدم له الطعام؛ فلا تؤخره ولا تقدمه إلا بإذنه.

كما يحسن بها أن تراعي أوقات نومه، فتحرص على تهدئة الأطفال؛ ليأخذ راحته

الكافية؛ فإذا أخذ قسطه من الراحة انشرح صدره، وهدأت أعصابه، وإلا بقي قلقاً مستوفزاً.

ومما يدخل السرور عليه أن تحرص الزوجة على نظافة المنزل، وأن تعنى بثياب الزوج؛ كي يظهر بالمظهر اللائق.

وإن كان طالب علم، أو صاحب قراءة وبحث فلتحرص على العناية بمكتبته، وكتبه ترتيباً، وتنظيماً، وتنظيفاً.

وإذا مرت به أزمة، أو مشكلة فلتقف معه بالدعاء، والرأي، والتثبيت، ونحو ذلك.

وإذا أرادت مخاطبته خاطبته بأسلوب لبق جذاب، يشعر من خلاله باحترامها وتوقيرها له.

قال ابن الجوزي رحمه الله: «وعن عثمان بن عطاء عن أبيه قال: قالت ابنة سعيد ابن المسيب: ما كنا نكلم أزواجنا إلا كما تكلمون أمراءكم.

وعنه _ أيضاً _ قال: قالت امرأة سعيد بن المسيب: ما كنا نكلم أزواجنا إلا كما تكلمون أمراءكم: أصلحك الله، عافاك الله»[1].

وبالجملة فلتحرص على كل ما يسره، وأن تتجنب كل ما يسوؤه وينوؤه.

وإن حصل منها تقصير في حقه فلتبادر إلى الاعتذار، ولتتلطف في ذلك.

وإليك أيتها الزوجة الكريمة هذه الوصية الرائعة الماتعة.

قال ابن الجوزي رحمه الله: «وعن عبدالملك بن عمير قال: زوّجَ عوف بن ملحم[2]

(١) أحكام النساء ص١٣٩.

(٢) مُلْحم، ويقال: مُحَلّم كما في رواية العقد الفريد ٨٣/٦.

الشيباني ابنته من إياس بن الحارث بن عمرو الكندي، فلما جُهِّزَت وحضرت؛ لتحمل إليه دخلت عليها أمُّها أمامةُ؛ لتوصيها فقالت: يا بنية! إن الوصية لو تركت لفضل في الأدب، أو مكرمة في الحسب _ لتركتُ ذلك، ولزويتُها عنك، ولكنها تذكرة للغافل، ومعرفة للعاقل.

أي بنيَّة! لو استغنت المرأة عن زوجها بغنى أبيها، وشدة حاجتها إليه _ لكنت أغنى الناس عنه، إلا أنهن خُلِقْنَ للرجال كما لهن خُلِقَ الرجال.

أي بنيَّة! إنك قد فارقت الجوَّ الذي منه خرجتِ، والعشَّ الذي فيه دَرَجْتِ، إلى وكرٍ لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، أصبح بمُلكه عليك مليكاً؛ فكوني له أَمَةً يكن لك عبداً، احفظي منه خصالاً عشراً تكن لك دركاً وذكراً.

أما الأولى والثانية: فالصحبة بالقناعة، والمعاشرة له بحسن السمع والطاعة؛ فإن في القناعة راحة القلب، وفي حسن السمع والطاعة رضى الرب.

وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لموضع أنفه، والتعاهد لموضع عينيه؛ فلا تقع عينه منك على شيء قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح، وإن الكحل أحسن الموجود، والماءَ أطيبُ الطيب المفقود.

أما الخامسة والسادسة: فالتعاهد لموضع طعامه، والتفقد له حين منامه؛ فإن حرارة الجوع مَلْهبة، وإن تنغيص النوم مَغْضبة.

وأما السابعة والثامنة: فالإرعاء على حَشَمِه وعياله، والاحتفاظ بماله؛ فإن أصل الاحتفاظ بالمال حُسْن التقدير، والرعاء على الحشم والعيال حُسْن التدبير.

أما التاسعة والعاشرة: فلا تُفشي له سرَّاً، ولا تعصي في حال له أمراً؛ فإنك إن أفشيتِ سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره.

ثم اتقي يا بنية الفرحَ لديه إذا كان ترِحاً، والاكتئاب إذا كان فرحاً؛ فإن الخصلة

الأولى من التقصير، والثانية من التكدير.

وكوني أشدَّ ما تكونين له إكراماً أشد ما تكونين له إعظاماً، وأشد ما تكونين له، وأطول ما تكونين له مرافقة.

واعلمي يا بنية أنك لن تَصِلي إلى ما تحبين منه حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك فيما أحببتِ وكرهت، والله يَخيْرُ لك ويحفظك.

فحُملت إليه، فعظم موقفه منه، فولدت له الملوك الذين ملكوا بعده»[1].

قال ابن الجوزي رحمه الله: «وينبغي للمرأة العاقلة إذا وجدت زوجاً صالحاً يلائمها أن تجتهد في مرضاته، وتَجتنب كلَّ ما يوذيه؛ فإنها متى آذته أو تعرضت لما يكرهه أوجب ذلك ملالته، وبقي ذلك في نفسه؛ فربما وجد فرصته فتركها، أو آثر غيرها؛ فإنه قد يجد، وقد لا تجد هي.

ومعلوم أن الملل للمستحسن قد يقع؛ فكيف للمكروه»[2].

وما أجمل قول أسماء بن خارجة مخاطباً زوجته:

خذي العفو مني تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في ثورتي حين أغضب

فإني رأيت الحبَّ في القلب والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبثِ الحبُّ يذهب[3]

وما أجمل ـ أيضاً ـ ما روي من قول أبي الدرداء رضي الله عنه لزوجته: «إذا رأيتني غضبت تَرضَّيْني، وإذا رأيتك غضبتِ ترضيتك، وإلا لم نصطحب»[4].

هذا وإن من أعظم ما يعين المرأة على القيام بحق الزوج أن تستشعر عظم حق

---

(١) أحكام النساء ص١٤٢_١٤٣، وانظر العقد الفريد لابن عبدربه ٦/٨٣_٨٥.

(٢) أحكام النساء ص١٤٥.

(٣) أحكام النساء ص١٤١.

(٤) العقد الفريد ٦/١٢٠.

الزوج عليها، وأن تستحضر الأجر المترتب على قيامها بحقه.

عن أبي هريرةﷺ عن النبيﷺ قال: «**لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها**»(١).

وعن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول اللهﷺ: «**أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة**»(٢).

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت زوجها ـ قيل لها: ادخلي من أي أبواب الجنة شئت**»(٣).

٢١ـ إفشاء سر الفراش:

فكما أن الرجال يقعون في هذا الأمر فكذلك النساء؛ فمنهن من تجلس إلى صويحباتها، فتفضي إليهن بما يجري لها مع زوجها في الفراش، وربما فاخرت في ذلك، وبالغت في التفصيل، ونافست صويحباتها بذلك.

وأي فخر بكشف السوءات؟ وأي منافسة تكون في التمادي بالقحة، وسقوط الهمة؟

ولئن كان هذا الأمر مرفوضاً من الرجال ـ فإنه أشد رفضاً إذا صدر من المرأة؛ ذلك أنها أولى بالستر والحياء؛ فإذا هي كشفت عن ذلك دل هذا على جهلها، وخفة عقلها، ونقص تربيتها.

---

(١) الحديث مضى تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي (١١٦١) وقال: حديث حسن غريب، ورواه ابن ماجه (١٨٥٤)، والحاكم (٧٣٢٨)، وأبو يعلى (٦٩٠٣).

(٣) أخرجه أحمد ١٩١/١ من حديث عبدالرحمن بن عوف، وابن حبان في صحيحه (٤١٦٣) عن أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٠).

فالعاقلة تأبى هذا الصنيع عقلاً، وفطرة، وديانة؛ فكيف يسوغ إفشاء سر الفراش حتى لكأن السامع يرى ما يسمعه رأي العين؟!.

إن للفراش أسراراً يجب أن تحفظ، وتحاط بسياج من الكتمان؛ فلذا كان حقًّـاً على الزوجين ألا يبوحا بذلك السر؛ فإن هما فعلا ذلك فمثلهما كمثل شيطان وشيطانة تلاقيا في طريق فجامعها بمرأى من الناس.

ولقد جاء هذا المثل في حديث النبيﷺ فعن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول اللهﷺ والرجال والنساء قعود عنده، فقال: «**لعل رجلاً يقول ما يفعله بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها**».

فأرم القوم ـ أي سكتوا ولم يجيبوا ـ

فقلت: أي والله يا رسول الله، إنهن ليقلن، وإنهم ليفعلون.

قال: «**فلا تفعلوا؛ فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة، فغشيها، والناس ينظرون**»[(١)].

فلتحذر المرأة هذا الصنيع؛ فلا تفشيَ سر الفراش لأحد كائناً من كان.

ويستثنى من ذلك حالات الضرورة والحاجة، كالعلاج، أو الاستفتاء عن أمر شرعي، أو أن تنكر المرأة نكاح الزوج لها، وتدعي عليه العجز في الجماع، أو نحو ذلك[(٢)].

وبالجملة فحفظ سر الزوج عموماً، وسر الفراش خصوصاً دليل على صلاح الزوجة وكمال عقلها.

---

(١) أخرجه أحمد ٤٥٦/٦، والطبراني في الكبير ١٦٢/٢٤، وقال الألباني في أدب الزفاف ص١٤٣: الحديث بشواهده صحيح، أو حسن على الأقل.

(٢) انظر نيل الاوطار ٦١٩/٦_٦٢٠.

قال ـ تعالى ـ في وصف النساء الصالحات: ﴿ **فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ** ﴾ (النساء: ٣٤).

قال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله في شرح هذه الآية: «ويدخل في قوله هذا وجوب كتمان كل ما يكون بينهن وبين أزواجهن في الخلوة، ولا سيما حديث الرفث؛ فما بالك بحفظ العرض؟.

وعندي أن هذه العبارة أبلغ ما في القرآن من دقائق كنايات النزاهة، تقرؤها خرائد العذارى جهراً، ويفهمن ما تومىء إليه مما يكون سرًّا، وهن على بعد من خطرات الخجل أن تمسَّ وجدانهن الرقيق بأطراف أناملها؛ فلقلوبهن الأمان من تلك الخلجات التي تدفع الدم إلى الوجنات، ناهيك بوصل حفظ الغيب (**بما حفظ الله**) فالانتقال السريع من ذلك الغيب الخفي إلى ذكر الله الجلي يصرف النفس عن التمادي في التفكر فيما يكون وراء تلك الأستار من تلك الخفايا والأسرار، وتشغلها بمراقبة الله ـ عز وجل ـ».

إلى أن قال: «الباء في قوله ﴿ **بما حفظ الله** ﴾ هي صنوُ باء «لا حول ولا قوة إلا بالله».

وأن المعنى حافظات للغيب بحفظ الله، أي بالحفظ الذي يؤتيه الله إياهن بصلاحهن؛ فإن الصالحة يكون لها من مراقبة الله ـ تعالى ـ وتقواه ما يجعلها محفوظة من الخيانة، قوية على حفظ الأمانة.

أو حافظات له بسبب أمر الله بحفظه؛ فهن يطعنه، ويعصين الهوى؛ فعسى أن يصل معنى هذه الآية إلى نساء عصرنا اللواتي يتفكهن بإفشاء أسرار الزوجية، ولا

يحفظن الغيب فيها»[١].

٢٢ـ وصفُ المرأة النساءَ لزوجها:

فمن الأخطاء أن تجد بعض النساء تحدث زوجها عن وصف صاحباتها؛ فتقول: فلانة جميلة، وفلانة طويلة، وفلانة رقيقة البشرة، وفلانة معتدلة القوام، وهذه عيونها كذا وكذا، وتلك شعرها مسترسل، أو نحو ذلك وما جرى مجراه.

وربما كانت الزوجة جاهلة أو ساذجة، والزوج ذا لؤم وفساد طوية، فيستجرها بالحديث، فتشرع في وصف النساء، حتى كأنه يراهن ماثلات أمامه.

وهذا العمل لا يجوز؛ لما فيه من الفتنة بالموصوفة، والزهد بالواصفة؛ والشيطان يمثل للسامع الموصوفة، ويزينها في عينه، ولا يخفى فضل المغيب على المشهد.

ولهذا جاء الشرع المطهر في سد هذه الذريعة؛ فعن ابن مسعود ﵁ قال: قال النبي ﷺ: «**لا تباشر المرأةُ المرأةَ فَتَنْعَتَها لزوجها كأنه ينظر إليها**»[٢].

قال ابن حجر ﵀ في شرح الحديث: «قوله: «**فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها**».

قال القابسي: هذا أصل لمالك في سد الذرائع؛ فإن الحكمة في هذا النهي خشية أن يُعْجبَ الزوجَ الوصفُ المذكورُ؛ فيفضي ذلك إلى تطليق الواصفة أو الافتتان بالموصوفة»[٣].

وقال ابن الجوزي ﵀: «واعلم أنه إنما نهي عن هذا لأن الرجل إذا سمع وصف المرأة تحركت همته، واشتغل قلبه.

والنفس مولعةٌ بطلب الموصوف بالحسن؛ فربما كانت الصفة داعية إلى تَطَلُّب

(١) نداء للجنس اللطيف ص٤٣ـ٤٤.

(٢) رواه البخاري (٥٢٤٠).

(٣) فتح الباري ٩/٢٥٠.

الموصوف بالحسن، وربما وقع اللهج بالطلب ما يقارب العشق»[1].

٢٣ـ التبرم من قوامة الرجل:

فمن النساء من تتبرم من قوامة الرجل عليها، فتريد أن تساويه في جميع تصرفاته، بل قد يعجبها أن يسلم الرجل قياده لها، وتكون إرادته تابعة لإرادتها، فيكون قولها هو القول، ورأيها هو الفصل، فتفرض عليه سياجاً محكماً لا معدى عنه ولا محيص.

والذي قد يدفعها إلى ذلك دافع الغرور بالمال، أو الجاه، أو الجمال، أو الحسب، أو المستوى التعليمي وقد يدفعها إلى ذلك تأثرها بالدعايات التي تنادي بمساواة المرأة بالرجل، وتحريرها من سلطته، وأن يكون موقفها منه موقف الند للند!

وإذا اجتمع إلى ذلك كله ضعفُ الرجل، واهتزاز شخصيته ـ فقد وافق الشن الطبق.

فلذلك فهي تحب ألا يكون عليها رقيب من البشر، فتريد أن تخرج متى شاءت، وتلبس ما شاءت، وتصاحب من شاءت.

وربما تدخلت في شؤون الرجل الخاصة، وعلاقته بالآخرين؛ فكانت هي القوامة عليه، المتصرفة في زمام أمره.

وما عجبٌ أن النساء ترجلت ولكن تأنيث الرجال عجاب

ولا ريب أن هذا الصنيع خلاف ما تأمر به الشرائع السماوية، وما تدعو إليه الفطر السوية، بل والتجارب الإنسانية.

فالمرأة العاقلة ـ إذاً ـ هي التي تعرف قدرها، وتقف عند حدودها؛ فالقوامة حق للرجل، وتشريف للمرأة؛ فالإسلام أنقذ المرأة من أيد الذين يزدرون مكانتها،

---

(١) أحكام النساء ص١٢١.

وتأخذهم الجفوة في معاشرتها؛ فقرر لها من الحقوق ما يكفل راحتها، وينبه على رفعة منزلتها، ثم جعل للرجل حق رعايتها، وإقامة السياج بينها وبين ما يخدش كرامتها.

ومن الشاهد على هذا قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ (البقرة: ٢٢٨).

فقررت الآية للمرأة من الحقوق مثل ما للرجل، وإذا كان أمر الأسرة لا يستقيم إلا برئيس يدبّره ـ فأحقهم بالرياسة هو الرجل الذي شأنه الإنفاق عليها، والقدرة على دفاع الأذى عنها.

وهذا ما استحق به الدرجة المشار إليها في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ**﴾ (البقرة: ٢٢٨)، وقوله: ﴿**الرجال قوامون على النساء**﴾ (النساء: ٣٤)[١].

ومما يؤيد أن القوامة حق للرجل، وخصيصة من خصائصه ما يلي[٢]:

أ ـ أنه جعل أصلها، وجعلت المرأة فرعه: قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾ (النساء: ١).

ب ـأنها خلقت من ضلعه العوجاء: كما جاء في قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**استوصوا بالنساء؛ فإن المرأة خُلقَتْ من ضِلَع أعوج، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه؛ إن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج؛ استوصوا بالنساء خيراً**»[٣].

جـ ـ أن المرأة ناقصة عقل ودين: كما قال النبيﷺ : «**ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب للبّ الرجل الحازم منكن**».

---

(١) انظر رسائل الإصلاح ١٧٢/٢.

(٢) انظر أحكام القرآن لابن العربي ٢٥٣/١، وأضواء البيان للشنقيطي ٤١٥/٣ـ٤٢٣.

(٣) رواه البخاري (٣٣٣١)، ومسلم (١٤٦٨).

قالت امرأة: يا رسول الله، وما نقصان العقل والدين؟.

قال: «**أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، وتمكث الليالي ما تصلي، وتفطر في رمضان؛ فهذا نقصان الدين**»[1].

فلا يمكن ـ والحالة هذه ـ أن تستقل بالتصرف والتدبير.

د ـ نقص قوتها: فلا تقاتل، ولا يسهم لها.

هـ ـ ما يعتريها من العوارض الطبيعية: من حمل، وولادة، وحيض، ونفاس، فيشغلها عن مهمة القوامة الشاقة.

فالقوامة ـ إذاً ـ حق للرجل، ولكن لا يفهم من القوامة أنها تعني التسلط، والقهر، والعسف، والجبروت.

وإنما هي تكليف، وتذمم، ورعاية، ورحمة.

كما لا يفهم من نقصان عقل المرأة أنها لا تستشار، ولا تعقل.

وإنما المقصود ألا تترفع على الرجل، وإلا فقد يكون من النساء من هي أعقل من بعض الرجال، ولكن تبقى القاعدة والأصل ألا وهي أن القوامة بيد الرجل.

بل إن المرأة العاقلة لا تفضل من الرجال إلا من كان قائماً بالقوامة عليها.

قال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله: «ومن استقرأ طباع النساء السليمات الفطرة من جنايات سوء التربية، وفساد النظام ـ يرى أن الثابت في غرائزهن أن خير الأزواج، وأولاهم بالاختيار من كان قادراً على الكسب وحماية النسل وصيانته، وما يتوقف عليه تربيته إلى أن يبلغ أشده.

وقد ألقت غير واحدة من الصحف الإفرنجية ولا سيما الإنجليزية أسئلة على النساء

---

(١) رواه مسلم (٧٩).

فيمن يفَضّلن من الأزواج، وصفات الرجال؟ فجاءت أكثر أجوبتهن على ما ذكرنا»[(١)].

ثم إن ضعف المرأة الخِلْقيَّ لا يعد من مساوئها بل هو من أعظم محاسنها.

قال العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «ألا ترى أن الضعف الخِلْقي والعجز عن الإبانة في الخصام عيب ناقص في الرجال مع أنه يعد من جملة محاسن النساء التي تجذب إليها القلوب.

قال جرير:

إن العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يَصْرَعْنَ ذا اللبّ حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركانا

وقال ابن الدمينة:

بنفسي وأهلي من إذا عرضوا له ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب
فلم يعتذر عذر البريء ولم تزل به سكتة حتى يقال مريب

فالأول تشبيب بهن بضعف أركانهن، والثاني بعجزهن عن الإبانة في الخصام كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ **وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ** ﴾ (الزخرف: ١٨).

ولهذا التباين في الكمال والقوة بين النوعين صح عن النبي ﷺ اللعن على من تشبه منهما بالآخر»[(٢)].

وقال رحمه الله بعد أن ذكر الأدلة على فضيلة الذكر على الأنثى: «فإذا عرفت من هذه أن الأنوثة نقص خِلْقي، وضعف طبيعي ـ فاعلم أن العقل الصحيح الذي يدرك

---

(١) نداء للجنس اللطيف ص٣٦.

(٢) أضواء البيان ٣/٤٢١.

الحكم والأسرار يقضي بأن الناقص الضعيف بخلقته وطبيعته يلزم أن يكون تحت نظر الكامل في خلقته، القوي بطبيعته؛ ليجلب له ما لا يقدر على جلبه من النفع، ويدفع عنه ما لا يقدر على دفعه من الضر»[١].

وخلاصة القول أن القوامة حق للرجل، وتكريم للمرأة، ولا يجوز لها بحال أن ترفض قوامة الرجل عليها، ولا أن تتضجر منها طالما أنه لم يحد عن أمر الله.

ولن يطيب للمرأة عيش إلا إذا كانت تحت كنف رجل يحوطها، ويقوم على رعايتها[٢].

---

(١) أضواء البيان ٣/٤٢٠.

(٢) وهذا ما أدركه كثير من الغربيين والأمريكان من الكتاب والمفكرين والأطباء، والباحثين، وإليك بعض أقوالهم في ذلك:

- يقول جول سيمون: «يجب أن تبقى المرأة امرأة؛ فإنها بهذه الصفة تستطيع أن تجد سعادتها، وأن تهبها لسواها؛ فلنصلح حال النساء، ولنحذر من قلبهن رجالاً؛ لأنهن بذلك يفقدن خيراً كثيراً، ونحن نفقد كل شيء». المرأة بين الفقه والقانون ص١٧٨.

- وتقول كاتبة إنجليزية بكل جرأة وصراحة: «من السخافة وقلة العقل أن تحاول الزوجة سلب قوامية الزوج، وسلطته الطبيعية؛ لأن المرأة منذ أن جاءت إلى هذه الدنيا أصبحت بطبيعتها تطيع زوجها، وتخضع لديه».

إلى أن قالت: «ومع أن هناك بعض الرجال الأنذال يريدون أن يستعملوا القوامية للإساءة بالمرأة، وشقائها فإن هناك ملايين من الرجال يحافظون على حقوق النساء، واحترامهن مع المحافظة على قواميتهم وسلطتهم الطبيعية، ويحلونهن في قلوبهن، ويعترفون بأن المرأة نعمة من عند الله الخالق». المرأة وحقوقها في الإسلام للشيخ مبشر الطرازي الحسيني ص٤٠.

- وكتبت كاتبة أمريكية تقول: «لو كان لي ابنة لأوصيتها بأنه لا ينبغي لها أن تَعُدَّ نفسها مساوية لزوجها في المقام والمنزلة ولو أحبها زوجها حباً جماً». المرأة وحقوقها في الإسلام ص٤٠.

=

= ـ وتقول جليندا جاكسون حاملة الأوسكار التي منحتها ملكة بريطانيا وساماً من أعلى أوسمة الدولة، والتي حصلت على جائزة الأكاديمية البريطانية، وجائزة مهرجان مونتريال العالمي، تقول: «إن الفطرة جعلت الرجل هو الأقوى والمسيطر، بناءً على ما يتمتع به من أسباب القوة تجعله في المقام الأول بما خصه الله به من قوة في تحريك الحياة، واستخراج خيراتها، إنه مقام الذاتية عند الرجل، التي تؤهله تلقائياً لمواجهة أعباء الحياة وإنمائها، واطراد ذلك في المجالات الحياتية». مجلة الدعوة عدد ١٥٦٥.

ـ وتقول طبيبة نفسية أمريكية: «أيما إمرأة قالت: أنا واثقة من نفسي وخرجت دون رقيب أو حسيب فهي تقتل نفسها وعفتها» مجلة الدعوة عدد ١٥٦٥.

ـ ولقد أثبت العلم الحديث أخيراً وَهْمَ محاولات المساواة بين الرجل والمرأة، وأن المرأة لا يمكن أن تقوم بالدور الذي يقوم به الرجل؛ فقد أثبت الطبيب (د. روجز سبراي) الحائز على جائزة نوبل في الطب ـ وجود اختلافات بين مخ الرجل ومخ المرأة، الأمر الذي لا يمكن معه إحداث مساواة في المشاعر، وردود الأفعال، والقيام بنفس الأدوار.

ـ وقد أجرى طبيب الأعصاب في جامعة (بيل) الأمريكية بحثاً طريفاً رصد خلاله حركة المخ في الرجال والنساء عند كتابة موضوع معين، أو حل مشكلة معينة، فوجد أن الرجال بصفة عامة يستعملون الجانب الأيسر من المخ، أما المرأة فتستعمل الجانبين معاً.

وفي هذا دليل ـكما يقول أستاذ جامعة بيلـ أن نِصْفَ مخّ الرجل يقوم بعمل لا يقدر عليه مخ المرأة إلا بشطريه.

ـ وهذا ما اكتشفه البروفيسور ريتشارد لين من القسم السيكلوجي في جامعة ألستر البريطانية حيث يقول: «إن عدداً من الدراسات أظهرت أن وزن دماغ الرجل يفوق مثيله النسائي بحوالي أربع أوقيات».

وأضاف لين: «إنه يجب الإقرار بالواقع، وهو أن دماغ الذكور أكبر حجماً من دماغ الإناث، وأن هذا الحجم مرتبط بالذكاء».

وقال: «إن أفضلية الذكاء عند الذكور تشرح أسباب حصول الرجال في بريطانيا على ضعفي ما تحصل عليه النساء من علامات الدرجة الأولى». =

فإنْ هي أبت إلا التمرد، ورفضَ القوامة وأصاخت السمع لدعاة الحرية، ومن يدَّعون تحرير المرأة، وإن شئت فقل: دعاة تجرير المرأة ـ فسوف تشقى وتشقي.

قال الرافعي رحمه الله في وصيته للمرأة المسلمة: «احذري تهوَّس الأوربية في طلب المساواة بالرجل؛ لقد ساوته في الذهاب إلى الحلاق، ولكن الحلاق لم يجد اللحية في وجهها»[(١)].

وقال: «احذري أن تخسري الطباع التي هي الأليق بأم أنجبت الأنبياء في الشرق، أم عليها طابع النفس الجميلة، تنشر في كل موضع جوَّ نفسِها العالية؛ فلو صارت الحياة غيماً، ورعداً، وبرقاً ـ لكانت الشمس الطالعة.

ولو صارت الحياة قيظاً، وحروراً، واختناقاً لكانت هي النسيم يتخطر.

أم لا تبالي إلا أخلاق البطولة، وعزائمها؛ لأن جداتها ولدن الأبطال»[(٢)].

وقال: «حرية المرأة في هذه المدنية أوّلها ما شئت من أوصاف وأسماء، ولكن آخرها دائماً: إما ضياع المرأة، وإما فساد المرأة»[(٣)].

٢٤ـ اختلاط الزوجة بالرجال، وتبرجها أمامهم:

فمن النساء من تختلط بالرجال من أقارب زوجها، وأحمائه دونما تحرج، إما بحكم العادة، وإما بسبب التساهل بشأن الحمو، وإما بسبب الجهل ورقة الدين، أو

= وسواء صح ما قالوه أم لم يصح فإن الله ـسبحانهـ أخبرنا في كتابه بالاختلاف بين الجنسين على وجه العموم فقال ـعز وجلـ: ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾ (آل عمران: ٣٦).

فكل ميسر لما خلق له، وكل يعمل على شاكلته. انظر مجلة الدعوة ١٥٦٥.

(١) وحي القلم ١/٢٦٤.

(٢) وحي القلم ١/٢٦٤ـ٢٦٥.

(٣) وحي القلم ١/٢٩٥.

بسبب الغفلة عن العواقب، أو لإرغام الزوج لها بالاختلاط، أو لغير ذلك من الأسباب.

ولقد أصبح ذلك في بعض المجتمعات عرفاً سائداً، وعادة متبعة يُنْكَر على من ينكرها.

وفي بعض المجتمعات لا تقتصر الزوجة على الاختلاط بأقارب الزوج، بل يتعدى الأمر ذلك إلى أصدقائه ومعارفه، وضيوفه، كل ذلك تحت ستار القرابة، والمعرفة، والثقة.

فإذا كان هناك حفل، أو مناسبة، أو وليمة كانت جماعية مختلطة.

وهذا الاختلاط لم يكن معروفاً عند المسلمين، وإنما أتاهم من الغرب؛ فهم يحاولون تقليدهم واللحاق بركبهم؛ حتى لا يقال: متخلفون رجعيون!

فهل تقليد الغرب في مستهجن عاداته إلا التخلف بعينه؟ أوليس هذا التقليد مما يزيد الشعوب المقلدة وهناً على وهن؟

فلا ريب أن المرأة آثمة في هذا الصنيع، وطاعة زوجها في مثل هذه الحال حرام عليها؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ولا يخفى ما في الاختلاط من الفساد العريض كالخلوة المحرمة وإظهار المرأة مفاتنها، وتلذذ الرجال بالنظر إليها؛ فإذا كان وصف المرأة النساء لزوجها محرماً _ كما مر في فقرة ماضية _ فكيف بهم وهم يرون النساء بأم أعينهم؟

ولهذا حسم الشرع المطهر هذا الأمر؛ سداً لذرائع الفتنة.

قال _ عليه الصلاة والسلام _: «**إياكم والدخول على النساء**».

فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أرأيت الحمو؟

قال: «**الحمو الموت**»[١].

قال الليث فيما رواه مسلم عنه بعد روايته الحديث السابق: «الحمو أخو الزوج، وما أشبهه من أقارب الزوج: ابن العم ونحوه»[٢].

وإذا أنكر منكر على بعض أولئك الذين يدعون للاختلاط والتبذل وصموه بالتخلف، وما علموا أن صنيعهم هو التخلف بعينه، وإذا أردت الدليل على ذلك فانظر إلى انحطاط خصائص الجنس البشري في الهمج من العراة الذين لا يزالون يعيشون في المتاهات والأدغال على حال تقرب من البهيمية؛ فإنهم لا يأخذون طريقهم في مدارج الحضارة إلا بعد أن يكتسوا.

ويستطيع المراقب لحالهم في تطورهم أن يلاحظ أنهم كلما تقدموا في الحضارة زادت نسبة المساحة الكاسية من أجسادهم.

كما يلاحظ أن الحضارة الغربية في انتكاسها تعود في هذا الطريق القهقرى درجة درجة حتى ينتهي إلى العري الكامل في مدن العراة التي أخذت في الانتشار بعد الحرب العالمية الأولى، ثم استفحل داؤها في السنوات الأخيرة.

ونحن إذا احتجنا إلى الاستفادة من خبرة الغرب وتفوقه في الصناعات الآلية التي كانت سبباً في مجده وسيادته _ فمن المؤكد أننا لسنا في حاجة إلى استيراد قواعد في السلوك والتربية والأخلاق التي تدل الأمارات، والبوادر أنها ستؤدي إلى تدمير حضارته، والقضاء عليها قضاء تاماً في القريب العاجل.

---

(١) رواه البخاري (٥٢٤٢)، ومسلم (٢١٧٢)، وأحمد ٤/٤٩_١٥٣، والترمذي (١١٧١)، والدارمي (٢٦٤٥).

(٢) مسلم (٢١٧٢) وانظر تفصيل الحديث عن الحمو في كتاب: أخطاء في مفهوم الزواج للكاتب ص٩٤_٩٧.

إننا نحتاج إلى مواد البناء؛ لأن لدينا من عوامل الضعف والهدم ما يكفي، ومن مصائبنا نحن الشرقيين أننا لا نأخذ المصائب كما هي، بل نزيد عليها ضعفنا فإذا هي رذائل مضاعفة.

ومع ذلك تجد من أبناء جلدتنا من لا يصيخون السمع إلى هداية الدين.

بل هم يلحدون في آيات الله، فيميلون بها عن وجهها حيناً، ويجادلون فيها أشد المجادلة حيناً آخر.

في الوقت الذي يخضعون لهذه المزاعم الداعرة، ويرونها فوق النقاش والمراء.

هؤلاء قوم لا تقوم عندهم الحجة بالقرآن والسنة، ولكنها تقوم بهذه الظنون والأوهام؛ فإذا عارضتهم بالثابت من قول الله ورسوله _ وهم يزعمون أنهم مسلمون _ لوَّوا رؤوسهم، وقالوا: نحدثك في العلم، فتحدثنا في الدين؛ وكأن هذه الأوهام عندهم أثبت من الشرع المطهر.

أترى فرقاً بين هؤلاء، وبين أمم خلت من قبلهم من الضالين كانوا يقولون إذا ذكروا بآيات الله: ﴿**قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**﴾(الأنفال: ٣١)؛ ﴿**لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ**﴾(النحل: ٢٥)[١].

وبالجملة فإن الحقيقة الماثلة للعيان تقول بأن الاختلاط والتبرج أقرب الوسائل إلى تلويث الأعراض، ونكد العيش، وأنهما إلى ابتذال المرأة أقرب منهما إلى كرامتها، وإلى عنائها أقرب منهما إلى راحة بالها.

كما تقول الحقيقة _ أيضاً _ بأن الحشمة والحياء والوقار والستر _ هي من أعظم

---

(١) انظر حصوننا مهددة من داخلها د. محمد محمد حسين ص٦٩_٨٠.

أسباب سعادتها، وعزها، وراحة بالها، ووفور كرامتها[١].

هذا وللأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي رحمه الله كلام جميل حول هذا المعنى، وهو مبثوث في أماكن متفرقة من كتبه، وخصوصاً كتابه وحي القلم، فمما قاله رحمه الله:

«يظنون أننا في زمن إزاحة العقبات النسائية واحدة واحدة من حرية المرأة وعلْمها.

أما أنا فأرى حرية المرأة وعلمها لا يوجدان إلا في العقبات النسائية عقبة بعد عقبة»[٢].

وقال: «فما هي المرأة بدون التقاليد؟ إنها البلاد الجميلة بغير جيش، إنها الكنز المخبوء مُعَرَّضاً لأعين اللصوص تحوطه الغفلة لا المراقبة.

هب الناس كلهم شرفاء، متعففين متصاونين؛ فإن معنى كلمة (كنز) متى تركت لها الحرية، وأُغْفِل من تقاليد الحراسة أوجدت حريته هذه بنفسها كلمة (لص)»[٣].

وقال: «إن نفس الأنثى لرجل واحد؛ لزوجها وحده»[٤].

وقال: «وما هو الحجاب إلا حفظ روحانية المرأة للمرأة، وإغلاء سعرها في الاجتماع، وصونها من التبذل الممقوت؛ لضبطها في حدود كحدود الربح من هذا القانون الصارم: قانون العرض والطلب، والارتفاع بها أن تكون سلعة بائرة ينادى عليها في مدارج الطرق والأسواق»[٥].

---

(١) انظر حصوننا مهددة من داخلها ص٦٩_٨٠، ووحي القلم ٢٠٤/١، ورسائل الإصلاح ٢٢٣/٢.

(٢) وحي القلم ١٦٢/١.

(٣) وحي القلم ١٦٣/١_١٦٤.

(٤) وحي القلم ١٣١/١.

(٥) وحي القلم ١٩٥/١.

وقال: «ولقد جاءت إلى مصر كاتبة إنجليزية، وأقامت أشهراً تخالط النساء المتحجبات، وتدرس معاني الحجاب، فلما رجعت إلى بلادها كتبت مقالاً عنوانه: «سؤال أحمله من الشرق إلى المرأة الغربية».

قالت في آخره: «إذا كانت هذه الحرية التي كسبناها أخيراً، وهذا التنافس الجنسي، وتجريد الجنسين من الحجب المشوّقة الباعثة التي أقامتها الطبيعة بينهما _ إذا كان هذا سيصبح كل أثره أن يتولى الرجال عن النساء، وأن يزول من القلوب كل ما يحرك فيها أوتار الحب الزواجي؛ فما الذي نكون قد ربحناه؟

لقد _ والله _ تضطرنا هذه الحال إلى تغيير خططنا، بل تستقر طوعاً وراء الحجاب الشرقي؛ لنتعلم من جديد فن الحب الحقيقي»[(١)].

وقال: «ليس لامرأةٍ فاضلة إلا رجُلها الواحد؛ فالرجال جميعاً مصائبها إلا واحداً»[(٢)].

وقال: «احذري أن تخدعي عن نفسك؛ إن المرأة أشد افتقاراً إلى الشرف منها إلى الحياة»[(٣)].

وقال: «احذري السقوط؛ إن سقوط المرأة؛ لهوله وشدَّته ثلاث مصائب في مصيبة: سقوطها هي، وسقوط من أوجدها، وسقوط من توجدهم»[(٤)].

وقال: «والمرأة التي لا يحميها الشرف لا يحميها شيء، وكل شريفة تعرف أن لها حياتين: إحداهما العفة.

---

(١) وحي القلم ٢٠٥/١.

(٢) وحي القلم ٢٦٥/١.

(٣) وحي القلم ٢٦٦/١.

(٤) وحي القلم ٢٦٦/١_٢٦٧.

وكما تدافع عن حياتها الهلاك تدافع السقوط عن عفتها؛ إذ هو هلاك حقيقتها الاجتماعية.

وكل عاقلة تعلم أن لها عقلين، تحتمي بأحدهما من نزوات الآخر، وما عقلها الثاني إلا شرف عرضها»[(١)].

وقال: «وأساس الفضيلة في الأنوثة الحياء؛ فيجب أن تعلم الفتاة أن الأنثى متى خرجت من حيائها، وتهجَّمت؛ أي توقَّحت، أي تبذلت _ استوى عندها أن تذهب يميناً أو تذهب شمالاً، وتهيأت لكل منهما ولأيهما اتفق.

وصاحبات اليمين في كنف الزوج، وظل الأسرة، وشرف الحياة وصاحبات الشمال ما صاحبات الشمال... ؟»[(٢)].

وقال: «فكل ما تراه من أساليب التجميل والزينة على وجوه الفتيات وأجسامهن في الطرق _ فلا تَعُدَّنَّهُ من فرط الجمال، بل من قلة الحياء»[(٣)].

٢٥_ قلة الوفاء للزوج:

فبعض النساء تقوم بواجب زوجها طالما أنه في حال صحته، وشبابه، وغناه، ومكانته المرموقة.

فإذا زلت به القدم؛ فمرض بعد صحة، أو افتقر بعد غنى، أو نزل بعد رفعة، أو هرم بعد شباب _ تنكرت له، وقلبت له ظهرت المجن، فلم تعد تصافيه، أو تُعنى بشأنه، أو تمحض له صفو الوداد.

وما ذلك بطبع الكريمات وعُقْليات النساء؛ ذلك أن الثبات على صدق الوفاء من

---

(١)وحي القلم ٢٩٣/١.

(٢) وحي القلم ٣٠٢/١.

(٣) وحي القلم ٣٠٢/١.

أفضل ما تتحلى به النساء.

ولهذا درجت المرأة المسلمة على مواتاة زوجها، ومصافاته، واستخلاص نفسها له، واحتمال نبوة الطبع منه.

وأكثر ما كان صفاء نفسها وسماح خلقها، وعذوبة طبعها _ إذا تبدلت حال الزوج من أعلى إلى أدنى، كأن يُرزأ في ماله، أو ينكب في قوته، أو أن يصاب بجاهه ومنصبه، أو أن يبتلى بصحته وعافيته.

بل لقد كان وفاؤها له بعد عفاء أثره، وامّحاء خبره _ عديلَ وفائها له وهي بين أفياء نعمته، وأكناف داره.

وكان إيثارُ الإسلام له بمدّ حدادها عليه أربعة أشهر وعشرة أيام، لا تتجمل في أثنائها، ولا تفارق دارها إلى دار أبيها _ سنةً من سنن هذا الوفاء، وآية من آياته.

لذلك كانت المرأة المسلمة الوفية ترى الوفاء لزوجها بعد موته آثر مما تراه لأبيها وأمها وذوي قرابتها؛ فكانت تؤثر فضائله، وتذكر شمائله في كل موطن ومقام[1].

تقول الذلفاء ترثي زوجها نجدة بن الأسود:

سئمت حياتي حين فارقت قبره ورحت وماء العين ينهل هامله
وقالت نساءُ الحيّ قد مات قبله شريف فلم تهلك عليه حلائله
صدقن لقد مات الرجال ولم يمت كنجدة من إخوانه من يماثله[2]

ويكفي في هذا المقام مثالاً على صدق الوفاء الذي ينبغي للمرأة المسلمة أن تجعله نصب عينها _ ما كان من فاطمة بنت عبدالملك مع زوجها عمر بن عبدالعزيز، وإليك

---

(١) انظر عودة الحجاب ٢/٥٣١.

(٢) الهداية الإسلامية للشيخ محمد الخضر حسين ص٦٠.

ذلك الخبر:

إن فاطمة هذه هي ابنة أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان، وكان لأبيها ـ يوم تزوجت ـ السلطان الأعظم على الشام، والعراق، والحجاز، واليمن، وإيران، والسند، وقفقازيا، والقريم، وما وراء النهر إلى بخارى وجنوة شرقاً، وعلى مصر، والسودان، وليبيا، وتونس، والجزائر، والمغرب الأقصى، وأسبانيا غرباً.

ولم تكن فاطمة بنت الخليفة الأعظم وحسب، بل كانت كذلك أخت أربعة من فحول خلفاء الإسلام، وهم الوليد بن عبدالملك، وسليمان ابن عبدالملك، ويزيد بن عبدالملك، وهشام بن عبدالملك.

وكانت فيما بين ذلك زوجة أعظم خليفة عرفه الإسلام بعد خلفاء الصدر الأول، وهو عمر بن عبدالعزيز ولهذا قيل في فاطمة:

بنت الخليفة والخليفة جدها   أخت الخلائف والخليفة زوجها

وهذه السيدة السَّرِيَّة خرجت من بيتها إلى بيت زوجها يوم زفت إليه وهي مثقلة بأثمن ما تملكه امرأة على وجه الأرض من الحلي والمجوهرات.

ومن فضول القول أن عروس عمر بن عبدالعزيز كانت تعيش في بيت أبيها في نعمة لا تعلو عليها عيشة امرأة أخرى في الدنيا لذلك العهد.

إلا أن الخليفة الأعظم عمر بن عبدالعزيز اختار ـ في الوقت الذي كان فيه أعظم الملوك ـ أن تكون نفقة بيته بضعة دراهم في اليوم، ورضيت بذلك زوجته التي كانت بنت خليفة، وأخت أربعة خلفاء؛ فكانت مغتبطة بذلك؛ لأنها قد تذوقت لذة القناعة، وتمتعت بحلاوة الاعتدال، فصارت هذه اللذة، وتلك الحلاوة أطيب لها وأرضى لنفسها من كل ما كانت تعرفه قبل ذلك من صنوف البذخ، وألوان الترف.

بل اقترح عليها زوجها أن تترفع عن عقلية الطفولة، فتخرج هذه الألاعيب والسفاسف التي كانت تبهرج بها أذنيها، وعنقها، وشعرها، ومعصميها مما لا يسمن، ولا يغني من جوع، ولو بيع لأشبع ثمنه بطون شعب برجاله، ونسائه، وأطفاله.

فاستجابت له، واستراحت من أثقال الحلي، والمجوهرات، واللآلىء، والدرر التي حملتها من بيت أبيها، فبعثت بذلك كله إلى بيت مال المسلمين.

وتوفي عقب ذلك أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رحمه الله ولم يخلف لزوجته وأولاده شيئاً؛ وبعد زمن طويل من وفاته وولاية أخيها الثالث يزيد بن عبدالملك قال لها أخوها الخليفة: «إن حُليّك التي وضعت في بيت المال هي من مالك الحلال، ولا تزال محفوظة بعينها كما كانت، فهل تحبين أن أردها عليك؟».

فأجابته: «إن أمير المؤمنين عمر قد استحسن أن تكون هذه الأشياء حيث هي الآن، وأنا قد وافقته على ما استحسن، وما كنت لأطيعه حيًّا، وأعصيه ميتاً».

قالت هذا وهي وأولادها أحوج الناس إلى دريهمات تكفيها وأولادها، فأبت أن تسترد مالها الحلال الموروث الذي يساوي الملايين الكثيرة.

وبذلك كتب الله لها الخلود، فها نحن نتحدث عن شرف معدنها، ورفيع منزلتها بعد عصور وعصور، رحمها الله وأعلى مقامها في جنات النعيم[1].

٢٦_ قلة تقوى الله بعد فراق الزوج:

فمن الزوجات من إذا فارقها زوجها بخلع أو طلاق _ أسرفت في ذمه، وتنفير

(١) انظر: مع الرعيل الأول للشيخ محب الدين الخطيب ص٢٢٧_٢٢٨، ومقدمة الشيخ محب الدين الخطيب ص٢٢٧_٢٢٨، ومقدمة الشيخ محب الدين الخطيب لآداب الزفاف في السنة المطهرة للشيخ الألباني ص٨٤_٨٨.

الناس منه، وربما افترت عليه العيوب من تلقاء نفسها.

ومن قلة التقوى بعد الفراق ذم الزوج عند أولادها منه، وتحريضهم عليه، وأمرهم بعقوقه وهجرانه.

وهذا العمل لا يصدر من ذات الدين والخلق؛ فاللائق بالزوجة أن تتقي الله _ عز وجل _ بعد فراق زوجها، فلا تذكره بسوء، بل تستر عليه عيوبه، وتفارقه بإحسان.

كما عليها أن تحث أولادها منه _ إن كان لها أولاد _ على بر والدهم، والإحسان إليه، وأن تحذرهم عقوقه، والإساءة إليه.

وإلا فستكتوي بنار العقوق؛ فالجزاء من جنس العمل، وعلى نفسها جنت براقش.

الخاتمــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد:

ففي خاتمة التطواف في هذا البحث يتضح لنا عظم حق الزوج، ومدى الخلل الذي يحصل من جراء تقصير الزوجة فيه.

ويتضح لنا مدى الحاجة إلى تعاون الزوجين، وقيام كل واحد منهما بواجبه؛ فهما يمثلان في تقارنهما شطري البيت من الشعر، والبيت من الشعر لا يحسن أن يكون أحد شطريه محكماً والآخر متخاذلاً.

وإنما يحسن وقعه، وتتهاداه الألسن والأسماع إذا كان شطراه منسجمين يسعد أحدهما الآخر في تأدية المعنى الذي صيغا من أجله.

وكذلك الزوجان لا تزدهي حياتهما إلا إذا انسجما، وقام كل منهما بنصيبه من حق الزوجية، وظلا يعيشان في منزل ظهارتُه المهابة، وبطانته الصيانة[1].

وأخيراً أحمد الله على تيسيره وإعانته، وأسأله القبول والإخلاص في القول والعمل، وأن يجزي خير الجزاء كلَّ من أعان برأي، أو تصحيح، أو أي جهد في سبيل إخراج هذا الكتاب.

كما ألتمس العذر من الزوجات الكريمات إن كان هناك من قسوة، أو شدة.

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (هود: ٨٨).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

---

(١) انظر الهداية الإسلامية ص٦٠.